دين الله واحد

على ألسنة جميع الرسل

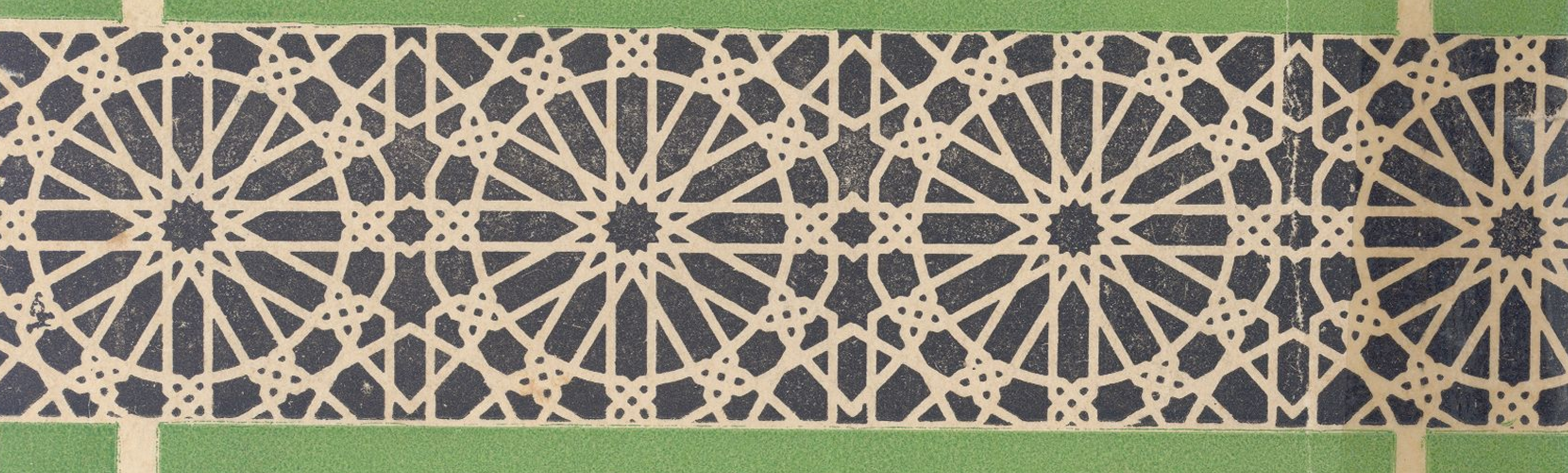
« إن هذه أمتكم، أمة واحدة

وأنا ربكم فاعبدون »

(قرآن كريم)

تأليف

محمود أبو رية



الناشر : عالم الكتب

دين الله واحد

على ألسنة جميع الرسل

« إن هذه أمتكم ، أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون »
(قرآن كريم)

تأليف

محمود أبو رية

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

مطبعة مخيمر ت : ٩٠١١٩٣

الإهـــداء

إلى الذين يدينون من الناس بدين الحق ، ويريدون أن تسود روح المحبة والتسامح بين جميع الخلق ، أهدى هذا الكتاب ؟

محمود أبو ريه

بسم الله الرحمن الرحيم

« أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة — والأنبياء إخوة من علات[1]، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد »

حديث نبوى رواه البخارى ومسلم

إنكم ستفتحون مصر ، فإن افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فأن لهم ذمة ورحماً ، أو قال : ذمة وصهراً

حديث نبوى رواه مسلم

---

(١) العلات الضرائر (أصله) من تزوج امرأة ثم تزوج عليها اخرى كأنه عل منها — والعلل الشرب بعد الشرب — وبنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى .

تنبيه واجب

مما يجب أن ننبه عليه هنا أننا لم نقصد فى كتابنا هذا إلا إلى الأديان الثلاثة المنتشرة اليوم بين ارجاء العالم ، ويدين بها — فى الشرق والغرب — أكثر أهل زماننا . تلك التى نزل من السماء وحيها ، واتحدت فى العقائد اصولها ، وعم الناس هديها ، وهى ما جاء بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم .

أما ماعدا ذلك من سائر الأديان والملل ، ماباد منها وماهو باق ، فلم نعرض له ببيان .

ومن الديانات التى اندثرت : الديانة المصرية ، والديانة الأشورية والكلدانية والفينيقية واليونانية وغير ذلك لا نطيل بذكرها .

أما الديانات التي يدين بها بعض الأمم فى هذا العصر ، فهى :

الهندوسية ، وهى دين الغالبية فى بلاد الهند ، والكنفوشية وهى منتشرة فى بلاد الصين ، والشنتوية وهى أكثر الأديان انتشارا ببلاد اليابان ، وثمّ ديانات أخرى لا نعرض لها .

وهذه الأديان كلها سواء ما انقرض منها وما هو قائم اليوم فى الأرض قد تركنا الكلام عنها ، لأن ذلك ليس من همنا ، ولا هو من غرض كتابنا ، ومن شاء أن يطلع عليها ، فليرجع فى ذلك إلى مظانها .

مقدمة الطبعة الثانية

لابد لنا ـــ ونحن نقدم للقراء الطبعة الثانية من كتاب (دين الله واحد) أن نأتى بصدر من القول . عن الطبعة الأولى وما لقيت لأن لها قصة يجب أن يعرفها الناس ، وأن تبقى على وجه التاريخ .

ذلك أنه ما كادت المطبعة تفرغ من طبعه ويعرف الناس بأمره ، حتى إنبعث بعض الذين فى قلوبهم مرض ، فبث بين الناس إشاعة باطلة مؤداها إن فى هذا الكتاب مايتعارض مع الدين الإسلامى ، وأن نشره يبلبل الأفكار المؤمنة!

وأن الواجب يقضى بأن لا يظهر بين المسلمين !

ولما إنتهى نبأ هذه الأشاعة إلى الدكتور طه حسين ،وكان من حسن حظ الكتاب أنه قرأ مسودته قبل أن يقدم للطبع ـــ تفضل فكتب خطابا خاصا إلى السيد وزير الثقافة والإرشاد ـــ وكان حينئذ الدكتور عبد القادر حاتم هذه صورته :

السيد المحترم وزير الثقافة والإرشاد

اتشرف بأن أرفع إلى سيادتكم أن صديقى الشيخ محمود أبو ربه ألف كتابا عنوانه (دين الله واحد) وعرضه علىَّ قبل أن يقدمه للطبع، وقرأته من أوله إلى آخره ، فلم أرفيه أى تعارض مع الدين الإسلامى الكريم ، ولا أى مساس بدين سماوى آخر ، وإنما هو كتاب قصد به

---

(١) ارجع إلى مناقشتنا مع علماء المنصورة فى مقدمة الطبعة الأولى .

مؤلفه إلى إثبات أن الدين الذى أراد الله أن يوحيه إلى عباده واحد فى جوهره ، مستشهدا على ذلك بالقرآن الكريم ، وبآراء غير واحد من علماء المسلمين الاخيار . . . ثم ختم الخطاب بقوله :

فأرجو أن تتفضلوا فتمنحوا هذا الأمر شيئاً من عنايتكم ، فقد عرفت فيكم الحرص على حرية الرأى وحمايتها من كل تحكم

وأنا اهدى إلى سيادتكم أصدق تحياتى وأخلص إجلالى

١٣ فبراير سنة ١٩٦٣ — طه حسين

وبذلك خرج الكتاب من المطبعة وأتخذ سبيله بين الناس ، فقوبل منهم بالرضا والقبول وانتشر انتشاراً واسعاً !

ومنذ عشر سنين طلبت منا وزارة الثقافة أن نضع لها كتاباً نختصر فيه كتابنا (أضواء على السنة المحمدية)، وبينما هى تهم بنشره إذ قامت فى سبيله بعض العراقيل بغية الحيلولة دون ظهوره ! !

وظلت الأغراض تتعاوره هذا الزمن الطويل ، حتى انتهى أخيرا نبأه إلى مسمع الدكتور طه حسين فطلب من وزارة الثقافة أن توافيه بأصول هذا الكتاب حتى يقف بنفسه على ما يكون فيه مما يخالف الدين ، وبعد أن قرأه تفضل فأرسل خطاباً إلى هذه الوزارة هذا نصه :

صديقتى العزيزة السيدة سهير (١)

أهدى إليك أصدق تحياتى ، وأحسن أمانى بالنجح والتوفيق .

---

(١) هى الدكتورة الفاضلة سهير القلماوى . رئيسة مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بوزارة الثقافة .

أما بعد فقد قرأت كتاب الأستاذ الشيخ محمود أبو ريه ، فلم أر فيه ما يمنع من النشر ، فهو موافق للدين كل الموافقة، لا يخالفه ولا ينبو عنه فى شيء مطلقاً .

وهو بعد ذلك مفيد فائدة كبيرة جداً لأوساط المثقفين لأنه يعطى فكرة صحيحة كل الصحة ، صادقة كل الصدق ، نقية كل النقاء من أى انحراف أو اعوجاج عن علم الحديث ، ما هو ؟ وكيف نشأ ؟ وكيف تطور ؟ حتى صار إلى ما هو عليه الآن .

ولست أرى بنشره بأساً أى بأس ، بل أرى فيه الخير كل الخير ، والنفع كل النفع .

وتقبلى تحيتى مجددة وشكرى متصلا　　　　طه حسين

١٩٦٨/١١/٢٣

ونجتزىء بما قدمناه هنا لبيان بعض ما أصابنا بفعل الجامدين والمقلدين الذين لا يعلمون إننا نعيش فى عصر العلم والحرية وإن عصور الجمود قد ولت وانقرض أهلها .

ومما لا مشاحة فيه أن مثل ما ذكرنا عما جرى لنا ولكتبنا إنما يسوء سمعة الإسلام عند غير المسلمين فى جميع أقطار الدنيا ، فينفرون منه،ويزورون عنه ،ويعتبرون أننا ندين بدين لا يصلح للحياة، لأنه يعادى غيره من سائر الأديان،ويأبى أن يعيش أهله مع سواهم فى صفاء ووئام.

وإنى أسوق لذلك مثلا يبدو منه مبلغ الضرر الكبير الذى يأتينا من وراء عمل الجامدين منا والمقلدين ، ونكتفى به خشية التطويل .

كنت أهديت نسخة من الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى الدكتور فهمى الجندى وهو أستاذ بجامعات ألمانيا الغربية . وبعد أن قرأه أعطاه إلى زميل له ليريه وجه الإسلام الصحيح ، وإنه فى أصوله يتفق تماماً مع سائر الأديان ، ولما اطلع هذا الأستاذ الألمانى عليه قال لصاحبه : إذا كان مافى هذا الكتاب هو الإسلام الصحيح فإن ذلك يمحو كل ما يقال عنه من أعدائه ، ويزيل ما يكون من خلاف بينه وبين سائر الأديان ، ولكنه كما يعرف من شيوخه فى البلاد الإسلامية كافة يباين كل المباينة ما فى هذا الكتاب !!

* * *

وتلقاء كل ماذكرناه فى هذه المقدمة نرى من الواجب أن نختم كلامنا ببيتين من الشعر نطق بهما الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله وهو فى مرضه الأخير ، لأن المقام يتطلبهما وهما :

ولست أبالى أن يقال محمد أبل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

رحم الله الأستاذ الإمام ، وحفظ دينه الحنيف من كل جاهل به ، أو مقلد فيه ، أو عدو له ، إنه سميع الدعاء .

محمود أبو ريه

هو الله (١)

٢٧ جمادى الأولى ١٣٨١

إن للسلوك الإنسانى — كما شرحت فى كتابى — (مقدمة علم الأخلاق) ثلاثة أبعاد :

بعد نفسى — وبعد اجتماعى — وبعد آلهى .

فالبعد النفسى ، هو رعاية الإنسان لنفسه فى تزكية الغرائز ، وتكميل الذات ، والتخلق بأخلاق الله .

والبعد الاجتماعى ، هو حقوق وواجبات الإنسان مع عائلته وعشيرته وقومه وأبناء نوعه .

والبعد الآلهى ، هو علاقة الإنسان بالله — الله الذى لا إله إلا هو ، له الأسماء الحسنى ، والصفات السرمدية التى انتزع عنها المبادىء العليا من الحق ، والخير والعدل .

ومن جهة أخرى فإن الحق هو موضوع العلوم العقلية — وفى قمتها علم العقائد والكلام .

---

(١) كتب هذه الكلمة الفلسفية العالم الجليل والفيلسوف الكبير الأستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الأفغان بالجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان (كان) بعد أن قرأ كتابنا هذا (دين الله واحد) .

والخير — هو موضوع العلوم التى تتعلق بالضمير كعلم الأخلاق .
والعدل — هو موضوع العلوم التى ترتبط بالتعامل أمثال الشرائع والقوانين .

فالمبادىء المنتزعة من الصفات السرمدية أزلية وأبدية ، لا يأتيها التغيير من بين يديها ولا من خلفها ، فهى مبادىء عند آدم ونوح ، وعند إبراهيم ، وعند موسى ، وعند عيسى ، وعند محمد عليهم السلام ، لا تبديل لكلمات الله .

كلمة الدين

وكلمة الدين كلمة عربية أخذت مفهومها الاصطلاحى فى عهد الإسلام ، ولما كان الإسلام موسوعة كبيرة من العقائد والأخلاق ، والقوانين والدساتير وكثير من الآداب — أطلقت كلمة الدين عند المسلمين على هذه المجموعة، ولكن مع ذلك فإن الديباجة المقدمة الفاتحة لهذه الموسوعة هى العقائد وهى دعامة الدين .

الدين بمفهومه الكلى

أما كلمة الدين بمفهومه الكلى والوسيع الذى يشمل الأديان كلها فينبغى أن تكون أكثر مرونة — فالدين عند إبراهيم عليه السلام يظهر أن يكون أكثر اعتقادياً وتعبدياً ، وعند موسى عليه السلام كان أكثر تشريعاً ، وعند عيسى عليه السلام كان أكثر أخلاقا ، وعند البراهمة والبوذية كان أكثر وظيفة ولهذا سمى « دهرم » أى الوظيفة .

المبادىء العليا خالدة

فالمبادىء والمفاهيم خالدة عند العقل المجرب والضمير المستنير الإنسانى وحينما نزلت رسالات السماء الأخرى أيدت تلك المفاهيم بدون جرح أو تعديل ، أو زيادة أو نقصان ، وتلك المبادىء الخالدة ، هى نفس الرسالات السماوية التى يحكم بها العقل الخالص — والذى يحكم به العقل هو الشىء الحقيقى كما يقول « هيجل » (١)

الله روح ونور:

يقول على بن سينا : إن الله تعالى واجب وقديم ومجرد ، والإنسان ممكن ومحدث ومركب ، وبعبارة أخرى إن الله روح ونور مجرد عن المادة والظلام ، والإنسان مركب من المادة المظلمة ، ولا يمكن أن يكون بين الطرفين المتناهيين فى البعد أية صلة أو رابطة ، إلا أنه يوجد هناك أبناء من البشر فيهم (ضلع) من الروح والنور المتصل والمتحد مع الله ، وضلع من المادة الكدرة المرتبطة بالإنسان ، فهؤلاء هم الأنبياء ، يأخذون بيدهم اليمنى النورانية الرسالة من الله ، ويعطونها من يدهم اليسرى المادية لإخوانهم فى الإنسانية ، فالرسول ولى من حيث اتصاله واتحاده الشعورى مع الله تعالى ، ونبى من حيث مباشرته ومعاشرته مع البشر .

تعدد الأنبياء لايغير المبادىء :

فتعدد الأنبياء وتعاقبهم على مر الزمن ، وتتابع العصور لم يكن

(١) هيجل فلسوف ألمانى كبير .

لتجديد أو تغيير أو ترميم المبادىء لأن الدين بمفهومه الوسيع، أو الإسلام المستند أولا على المبادىء الخالدة، لم يكن ليتبدل أو يتغير عند أحد من الأنبياء.

الزمن يحتم تطوير القوانين :

ولكن الزمان والتطور، والبيئات والتربية وسائر المؤثرات تحتم تطوير أو تجديد أو ترميم القوانين، أو مجرى السلوك الاجتماعى، ولذلك تجددت وتوالت الرسالات السماوية، حتى جاء محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وختم الرسالة، ولكنه لم يختم التطور والتجديد والتطبيق للعصور والبيئات الآتية، بل أبقاه حياً نشطاً على ضوء المبادىء من الكتاب والسنة الصحيحة، وعلى هدى من الآراء والعقول السليمة.

المبادىء الاولية للاسلام ازلية :

فالمبادىء الأولية للاسلام أزلية أبدية، لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل، لا فى جوهرها ولا فى مجراها، كالإيمان بالله وبالكتب وبالحشر، والميزان والقدر ويتجدد فى التعبدات.

والمبادىء الخلقية والتشريعية لا تبدل فى جوهرها ولكن يمكن التغيير فى مجراها، فمعتقد العدل مفهوم سرمدى لا يتغير ولا يتبدل وفى أى ظرف من الظروف لا يمكن أن تباح السرقة مثلا، ولكن جزاء السرقة مثلا وعقاب السارق يمكن أن يتبدل، كما بدله عمر بن الخطاب فى عام الرمادة.

فالمبادىء الخلقية أكثر ابراماً من المبادىء الحقوقية .

فالإسلام (١) كما قال أخونا الشيخ الأستاذ أبو ريه — امتداد للمبادىء الخالدة فى كل الأديان السماوية ، والكتب المنزلة من الله تعالى أى الكتب التى لم تحرف كلها عن مواضعها ، والقرآن مصدق لما بين يديه فى تلك الكتب. والقرآن لا يتعصب ، ولا يستنكر إلا الرذيلة بجميع أنواعها ، بل ويمدح الفضيلة فى أى دين أو شعب أو فرد . فيمدح النصارى بأنهم لا يستكبرون ، ويمدح يهود المدينة بأنهم يتطهرون ، ويصف ملكة سبأ العابدة للشمس لديمقراطيتها ، وذا القرنين (اسكندر المقدونى) الوثنى لبطولته .

وفى الختام أتيمن بهذه الآية المباركة الخالدة «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله»

والسلام عليكم

صلاح الدين السلجوقى

---

(١) الإسلام هنا وفى كل ما جاء فى هذه الكلمة هو الإسلام العام — أى إسلام الوجه لله سبحانه وتعالى وهو المعبر عنه فى الآية الكريمة وله اسلم من فى السموات والأرض — وقوله تعالى (أسلمت وجهى لله ، وانظر بيان ذلك مفصلا فى كتابنا هذا (دين الله واحد).

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى — وبعد :

فإن بداءة العقول تقضى بأن الله سبحانه وتعالى — وهو رب العالمين ، المتصف بالحكمة والعدل والرحمة — لايدع من فطرهم على ما هم عليه من الغرائز والطبائع البشرية هملا ، ويلقى بهم على صعيد هذه الدنيا يمشون فى مناكبها مكبين على وجوههم بغير مرشد يدلهم على الطريق القويم ، ويهيمون بعقولهم المختلفة بغير هاد يهديهم إلى الصراط المستقيم !

ولكن اقتضت حكمته العالية أن يبعث إليهم رسلا من أنفسهم ، يبينون لهم وجه الحق فى علاقتهم ببارئهم ، وما يجب أن يكونوا عليه بعضهم مع بعض فى هذه الحياة حتى ينالوا السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقد وصف الأستاذ الإمام محمد عبده هؤلاء الرسل « بأنهم من الأمم — بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية ، قضت رحمة الله المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه — ولكنها حاجة روحية . وكل مالامس الحس منها فالقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة ، أو تقويم ملكاتها ،

أو إيداعها ما فيه سعادتها فى الحياتين . وبين وظيفتهم بقوله : إنهم

يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته ، ويبينون الحد الذى يجب أن يقف عنده فى طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة .

« يجمعون كلمة الخلق على إله واحد ، لا فرقة معه ، ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده (١) وينهضون نفوسهم إلى التعلق به فى جميع الأعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بعظمته ، بفرض ضروب من العبادات — تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى ، تقوى ماضعف منهم ، وتزيد المستيقنين يقيناً .

ويبينون للناس مااختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم . .

« يعودون بالنـاس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة — ويعلمونهم أن يرعى كل حق الآخر ، وإن كان لا يغفل حقه ، وأن لا يتجاوز فى الطلب حده ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم .

« يضعون لهم — بأمر الله — حدوداً عامة ، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق ، وحظر تناول شىء

---

(١) أى يدعونه ويتقربون إليه بما شرع لهم من الدين لا بوسائط من الخلق تقربهم إليه كحجاب الملوك ووزرائهم .

مما كسبه الغير إلا بحق ، مع بيان الحق الذى يبيح تناوله ، واحترام الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الإبضاع (١) ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانة ، والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود(٢) والرحمة بالضعفاء ، والإقدام على نصيحة الأقوياء ، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء(٣).

« يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، إلى طلب الرغائب السامية ، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير ، حسبما أمر الله جل شأنه » .

« يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، ومايعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة ، وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده ، وأخذ بأوامره ، وتجنب الوقوع فى محظوراته » .

« ويعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده فى العلم به(٤) مما لو صعب على العقل اكتناهه ، لم يشق عليه الاعتراف بوجوده .

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ، ويعتصم المرزوء بالصبر ، انتظاراً جزيل الأجر ، أو إرضاء — لمن بيده الأمر ، وبهذا ينحل أعظم مشكل (٥) فى الاجتماع الانسانى — لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى حاله إلى اليوم » :

---

(١) أى الاتصال الجنسى من زواج وغيره .

(٢) ومنها المعاهدات الدولية . (٣) أى لا فرق فيه بين مسلم وكافر ، وقوى وضعيف ، وقريب وبعيد . (٤) كالملائكة والجن وأحوال الآخرة .

(٥) يعنى مشكل العمال وما نشأ عنه من الشيوعية والفوضوية وغير ذلك .

« وأما تفصيل طرق المعيشة ، والحذق فى وجوه الكسب، وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم — فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً فى الاعتقاد — بأن للكون إلهاً واحداً قادراً عالماً حكيما متصفاً بما أوجب الدليل أن يتصف به وباستواء نسبة الكائنات إليه فى أنها مخلوقة له ، وصنع قدرته ، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال ، وشرطه أن لا ينال شىء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر فى نفسه أو عرضه ، أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الأمة على ما حدد فى شريعتها » .

« ليس من وظائف الرسل ما هو عمل المدرسين ومعلمى الصناعات ، فليس مما جاءوا له تعليم التاريخ ، ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها . ولا ما استكن من طبقات الأرض ، ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج إليه النباتات فى نموها ، ولا ما تفتقر إليه الحيوانات فى بناء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له تلك العلوم ، وتسابقت فى الوصول إلى دقائقه الفهوم فإن ذلك كله من وسائل الكسب ، وتحصيل طرق الراحة — هدى الله إليه البشر بما أودع فيهم من الإدراك ، يزيد من سعادة المحصلين ، ويقضى فيه بالنكد على المقصرين » (١) .

* * *

أجملنا لك حقيقة وظيفة رسل الله ، وما أوتوا به من هداية وإرشاد

---

(١) عن رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده من ص ١١٨ إلى ص ١٢٢ .

على أكمل وجه — ومن مثل الأستاذ الإمام محمد عبده — يستطيع أن يبين ذلك كله على هذه الصورة الرائعة .

وإنك لترى . أن سعادة الناس إنما تكون فى اتباع هؤلاء الرسل ، وأنه لا غنى للحياة الصحيحة الطاهرة عن هدايتهم ، وإذا كان الله قد سخر الشموس لتستضىء بها النواظر ، فإنه قد بعث الرسل لتهتدى بها البصائر .

* * *

وهذا الذى يأتى به الرسل إلى الناس هو المعروف (بالدين)

ولما كان تطاول الزمن ، وامتداد العصور . قد يهىء من أصول هذا الدين أو يدخل عليها ما ليس منها — فإن الله سبحانه يرسل رسله تترى ليجددوا ما يكون قد تغير منها ، ويبينوا للناس من شرعه ما فيه صلاحهم فى كل عصر . وبعد انقضاء عهد الرسالات النبوية يبعث الله من عباده العلماء ليجددوا الدين ويجعلوه من وسائل عمارة الأرض ونفع الناس أجمعين .

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن الله سبحانه رب لجميع الأكوان، وإله الناس فى كل زمان — فإن العقل السليم ، والمنطق الصحيح يقضيان — ولا ريب بأن (دين الله) يجب أن يكون واحدا وأن أصوله ، لا تختلف باختلاف العصور ، وتعاقب الدهور ، وإنما الذى يختلف باختلاف الزمان إنما هى الشرائع التى تتغير بحسب تطور العمران ، ونظام الاجتماع بين بنى الإنسان ، فما يكون لله من حقوق وواجبات

ـ وهو المعبر عنه (بالعقائد والعبادات) فإنه لا يتغير إلا فى بعض أشكال العبادة وصورها ؛ وهذا بديهى ـــ ما دام المعبود واحداً ـ وشكل العبادة فى ظاهرها وصورها لايغير من لبها وروحها ، ولا أن مصدرها ـ هو القلب .

أما أحكام الحياة ونظمها ـــ وهو المعبر عنه (بالمعاملات) فإنه يتغير بتغير الزمان وأحوال الناس ، وطبائعهم وطرائق معايشهم ، كما تتغير القوانين الوضعية بين الفينة والفينة ـــ ذلك بأن ما يصلح لزمن من نظم المعاملات قد لايصلح لزمن آخر ـــ سنة الله فى الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الأمر قد تركه الله للناس كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده . وفى ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنيا كم » (١)

وهذا هو المعقول ، الذى اتفق عليه علماء المعقول والمنقول ، إذ لايصح أن يغير الله دينه بين فترة وأخرى ـــ فيجعله لرسول على صفة ، وينزله على غيره بشكل آخر يخالف الأول ؟ فإن ذلك من عمل الإنسان الذى من طبعه التغيير والتبديل دائماً .

لو علم الناس هذه البدائه على وجهها ، وتوافوا على فهمها لتعارفوا: أن دين الله يجب أن يكون واحدا فى كل زمان ولأيقنوا : أن رب

---

(١) وذلك فى حديث تأبير النخل بالمدينة لما أشار عليهم بعدم تأبيره فخرج البلح شيصاً ، ولما علم بذلك قال هذا الحديث العظيم ، الذى يجب أن يكتب فى كل مكان ، ويحفظ على وجه الزمان رواه مسلم .

نوح ، هو رب ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل — من علمنا منهم ومن لم نعلم — وإن عباده جميعاً أمام الله سواسية « كل أمرىء بما كسب رهين[1] فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » [2] .

(ا) وإن الإسلام الذى جاء به محمد (ص) هو امتداد للاسلام الذى بعث الله به كل رسول — لو عرف الناس ذلك كله — وأيقنوا معه أن الله قد خلق لهم مافى الأرض جميعا ، وسخر لهم ما فى السموات والأرض ، وأنه لم يختص بشىء مما خلق أو سخر أهل دين من الأديان ، وإنما جعل الانتفاع بذلك كله للعمل المبنى على العلم والتجربة — فلم يجعل الماء لموسى ، ولا الأرض لعيسى ، ولا الهواء لمحمد ، وإنما خلق ما فى الأرض للناس كافة ، وجعل وراثة الأرض للصالحين منهم لها — وليس الصالحون هم الذين يطيلون لحاهم ويلونون عمائمهم ، ويديرون السبح بين أصابعهم ، كما يفهم الجهلاء وإنما هم الصالحون لعمارتها والانتفاع بذخائرها الظاهرة منها والباطنة .

لو عرف الناس ذلك كله وأدركوه بعقول صحيحة وقلوب سليمة لأصبحوا جميعا فى هذه الحياة القصيرة إخوانا متحابين ، يضربون فى هذه الأرض متعاونين كل بسعيه ، طاهرة نفوسهم ، متحدة قلوبهم ، كما أمرت بذلك أديانهم ، باذلين جهودهم فيما يعود بالخير والنفع عليهم .

---

(١) الآية ٢١ من سورة الطور .

(٢) الآيات ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .

وأما عباداتهم — وإن اختلفت كما قلنا — فى بعض صورها فإن روحها منبعثة من القلوب وحدها ، وإن تباينت أشكالها فإنها متحدة فى لبابهـا وغايتها التى تنتهى إلى مالك الملك علام الغيوب .

فلكل واحد أن يؤديها على الصورة التى بينت فى دينه، إن فى معبده أو فى بيته أو فى خلوته،أو فى أى بقعة من الأرض فأينما يولون وجوههم فثم وجه الله . وبعد أن يؤدوا عباداتهم يعودون جميعا إلى العمل ، كل فيما يحسنه ، وبذلك تكون الحياة سعيدة والأمن شاملا .

لو سرنا على هذهالسبيل المستقيمة لكنا كأسرة واحدة يأتيها رزقها رغدا لا يكدر صفو عيشها شىء . ولكن وا أسفا فإن أهل الأديان السماوية قد اختلفوا فيما يجب الاتفاق عليه ، وتنازعوا فيما يدعو الاتحاد إليه ، وبذلك أصبحت الحياة فيما بينهم عداء وتخالفا ، وهذا ولا ريب له أثر بعيد فى حياتهم واجتماعهم ، فهذا يقول : دينى أفضل من دينك ؟ وذاك يقول : إن الخير كل الخير فيما أنا عليه ، وإن الضلال كل الضلال فيما عليه غيرى ممن يخالفنى فى الدين .

ولو علموا جميعا حقيقة أمرهم وعرفوا قدر أنفسهم لتواضعوا أمام عظمة ربهم ، ولأيقنوا أن الامر ليس بأمانى أحد منهم ، وأن من يعمل سوءاً يجزيه ، وأن الموازين العادلة ليست بيد أحد من أهل الأرض وإنما هى بيد الحكيم الخبير علام الغيوب ، الذى لا يظلم مثقال ذرة فى الأرض ، ولا فى السماء ، وأنه رب العالمين جميعا ، من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وصابئين والذين أشركوا وغيرهم من جميع

الملل والنحل — وهو وحده الذى يفصل بينهم جميعاً بعدله يوم القيامة كما جاء فى القرآن الكريم :

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا — إن الله يفصل بينهم يوم القيامة « إن الله على كل شىء شهيد » . (الآية ١٧ من سورة الحج)

وقال فى الآية الأربعين من سورة الدخان « إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » فيعذب الله فيه من يشاء ، ويرحم من يشاء ، بعد حسابهم ، لا معقب لحكمه .

وإن أنس لا أنسى ليلة كنت فيها بمجلس بمدينة المنصورة ضم بعض رجال الدين فدخل علينا أحد المحامين الشرعيين هو الشيخ سيد عليم وقال فى أسى : لقد مات اليوم الأستاذ مينا فهمى — رحمه الله — وما أن نطق باسم الميت وكان محاميا قبطياً حتى قامت صيحات من بعض من كان معنا تستنكر على أخيهم أن يطلب الرحمة من الله لهذا (القبطى) فبهت المحامى ولم يستطع أن يجيب بشىء[1] .

---

(١) عن الحسن ، قيل لرسول الله : إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين ، فقال : ونحن نستغفر لهم . وعن على : رأيت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما مشركان ، فقلت له فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه . وقال الزمخشرى فى الكشاف إن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه : لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك ص ١٧٤ جـ ٢ .

وسلم الشعبى الإمام الجليل على نصرانى فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أو ليس فى رحمة الله ؟ لولا ذلك لهلك . ص ٧٧ جـ ١ تذكرة

فعجبت لذلك وقلت لهم : وماذا فيما قاله الأستاذ المحامى ؟ فأجابوا ، كيف يطلب الرحمة لنصرانى وهو كافر ، والرحمة لاتنال الكافرين ! فقلت لهم : إذا كان حكمكم على الكافر صحيحاً فإن النصرانى ليس بكافر ! ولما أصروا على رأيهم قلت لهم : إذا كان النصرانى كافراً فكيف يباح للمسلم أن يتزوج بالنصرانية والآية الكريمة تقول :

« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »(١) فأجاب بعضهم ، إن هذا لايجوز ! فقلت له : لقد جهلت أحكام دينك ! إن للمسلم أن يتزوج النصرانية ، وعليه أن يرافقها فى أيام الآحاد ، والأعياد ، إلى كنيستها ، لتسمع المواعظ من قسيسها ! ولما سلموا جميعاً بذلك نهض بعضهم فقال : إن النصارى مشركون ! فقلت : إن الأمر فى هذه كالأمر فى تلك ! لأن الآية تقول : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن(٢) . ولج بعضهم وأصر على أن النصرانى لا تشمله رحمة الله ! فقلت له : يا هذا ألم يكن النصرانى

=الحفاظ والشعبى هو عامر بن شراحبيل الهمدانى الكوفى مولده فى خلافة عمر سنة ١٧ كان إماماً حافظاً فقيها متفنناً وهو أكبر شيخ لأبى حنيفة توفى سنة ١٠٤ هـ أو سنة ١٠٥ هـ وذكر ابن أبى حاتم عن أسد بن وداعة أنه كان لا يخرج من منزله فلا يلقى يهودياً إلا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودى والنصرانى ؟ فقال : إن الله تعالى يقول : « وقولوا للناس حسنا » ، وهو السلام ١/١١٩ تفسير ابن كثير .

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٢) الآية ٢٢١ من سورة البقرة .

من بنى آدم ؟ وألم يكن من الناس ؟ فقالوا جميعاً : نعم ، فقلت : إذن اقرأوا هاتين الآيتين الكريمتين .

« يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . (٣٥ الأعراف)

« يا أيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقا كم إن الله عليم خبير » .

(١٣ الحجرات)

فكل مع يتق الله ويصلح فلا خوف عليه ، والأساس الأول هو التقوى ، وهنا انتفض بعضهم وقال : إن التقوى خاصة بالمسلمين والمتقون هم المسلمين ! فقلت له يامولانا الشيخ إن تقوى الله مطلوبة من كل مخلوق ، وأهل الكتاب قد أمروا قبلنا بتقوى الله ووصاهم الله بها كما وصانا فقال تعالى : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وإيا كم ، أن اتقوا الله (١٣١ من سورة النساء) . وهنا قال أحدهم : كأنك تجعل النصارى من أهل الكتاب ؟ فأجبته لست أنا الذى أجعلهم من أهل الكتاب ، وإنما الذى جعلهم كذلك هو الله سبحانه ، وقد أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم على أنهم أهل كتاب وذلك فى قوله سبحانه :

« قل يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا — ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

(٦٤ آل عمران)

فقال : وهل تنال رحمة الله أهل الـكتاب كما تنال المسلمين فقلت له : إن باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه لـكل عباده ، اقرأ إن شئت هذه الآية الـكريمة :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١) » فـكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً فهو ناج بفضل الله إن شاء الله ، ذلك بأن هذه الصفات الثلاث ، هى أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول فمن اتبع أحكامها ، وأقام أصولها — من أى دين كان — فاز برضوان الله . ومن أخل بشىء منها واتبع هواه ، فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهو سبحانه غفور رحيم — لا يسأل عما يفعل !

وكذلك لا أنسى جدالا قام بين شيخ مسلم وبين أحد إخواننا الأقباط قال فيه هذا الشيخ — عندما احتدم الجدال : حقاً لقد صدق الله العظيم حيث يقول « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينـكم » فـكدت أتميز من الغيظ لجهل الشيخ بما فى كتابه فقلت له : ياسيدنا الشيخ كيف تفترى على الله وتستشهد بآية لا تفهم معناها ؟ إن الله سبحانه لم يقل ذلك . فركبته الحماقة

---

(١) الآية ٦٢ من سورة البقرة . وقد تـكررت هذه الآية فى سورة المائدة وهى آخر ما نزل ونصها « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآيه ٦٩ .

وقال : كيف ترميني بالافتراء على الله والآية ثابتة فى المصحف . فقلت له : اقرأ ما قبلها وما بعدها يتجلى لك معناها — ولما قرأ ما قبلها وما بعدها وعلم أن الذين قالوا ذلك هم اليهود بهت (١) .

ولما أدركه الحصر قلت له : حرام عليكم يامولانا أن تفتروا على الله ، وأن تأخذوا ما فى المصحف الشريف وتفهموه على ما يقضى به علمكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وبخاصة النصارى — والذين أشار إليهم القرآن بأنهم : أقرب الناس مودة للمسلمين ، وذلك فى الآية الكريمة :

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا : الذين قالوا : إنا نصارى ذلك بأن منهم ، قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون .

(٨٢ المائدة) .

---

(١) هذه هى الآيات الكريمة « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو يحاجوكم عند ربكم ، قل : إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٢ — ٧٥ آل عمران) .

وجاءت الوصية الكريمة من محمد صلوات الله عليه صريحة بالقبط فقال: « استوصوا بالقبط ، فإن لهم ذمة ورحما » رواه مسلم .

وإن الذى يملأ النفس أسى أن هذه الآية الكريمة (١) ما تزال تجرى بهذا الفهم الخاطىء على ألسنة كثير من مشايخ المسلمين وعامتهم وهذا ولا ريب له أثر بالغ فى تمزيق الروابط بين المسلمين وإخوانهم الأقباط ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم باسم الدين ، على حين أن الاتحاد واجب بين أبناء الأمة جميعاً لارتباط مصالح بعضهم بمصالح بعض ، فإذا لم يكن الاتحاد مما يدعو إليه الدين ، فإن الاجتماع يحتمه بينهم بل ويفرضه عليهم وبخاصة فى هذا العصر (٢) .

وإن هذه الحال السيئة التى أعرقت فينا على مدى الأجيال ، ونال العالم منها ما ناله من الضرر والوبال ، لتدعو العقلاء والمفكرين وأهل الرأى ، إلى أن يتداركوها ، وأن يطبوا لها ما استطاعوا . وإن أنجع دواء لهذه العلة المزمنة — ولا ريب — هو أن يعرف أهل الكتب

---

(١) أى الآية : ولا تأمنوا إلا لمن تبع دينكم .

(٢) مما نذكره على سبيل الفكاهة : أنى كنت فى مجلس ضم بعض المشايخ وجرى الحديث فيمن سيدخلون الجنة ومن سيحرمونها ! فقلت لهم « ما قولكم فى أديسون مخترع النور ؟ » فقالوا : إنه سيدخل النار ! فقلت لهم : بعد أن أضاء العالم كله حتى مساجدكم وبيوتكم باختراعه؟! فقالوا: ولو، لأنه لم ينطق بالشهادتين!! فقلت لهم : إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم ، لا يمكن — بحسب فهمكم — أن يدخلوا الجنة شرعا — لأنهم لا ينطقون بالشهادتين — أفلا يمكن أن يدخلوها عقلا بفضل الله ورحمته ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض ؟ قالوا : ولا هذه !!.

السماوية جميعا ، أن دين الله واحد على ألسنة جميع رسله وأن هؤلاء الرسل الكرام ، إخوان متحابون لا عداء بينهم ولا خصام ، وأن الغرض من رسالتهم واحد ، وأن الذى بعثهم جميعاً بأصول هذا الدين واحد ، وأن هذه الأصول لا تخالف فيها ولا تباين ، فإذا عرفوا ذلك تقطعت بينهم أسباب الخــــلاف ، وارتبطت القلوب بأواصر المحبة والائتلاف . ولأننى قضيت حياتى كلها فى الدعوة إلى اتحاد رجال الأديان كما اتحدت أصول الأديان ؛ وأن ينبذوا ما نشأ من خلاف بينهم يكرهه الله مالك الملك، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً وألا يتفرقوا، وأن يعقدوا الخناصر على القيام بنشر ما يدعو إليه الدين الحق من كرائم الآداب ، وأمهات الفضائل ويكونوا قدوة حسنة لمن وراءهم من المتدينين وبذلك يسعد الناس جميعا ، ويعيشون فى مهنأ وصفاء لا حقد بينهم ولا بغضاء .

وقد استخرت الله فى أن أنشر هذه الرسالة الموجزة لأبين لإخوانى المخلصين من أهل الأديان أجمعين ، وهم المتبعون لموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أن دين الله على ألسنة رسله — كما قرأناه فى كتبهم — واحد ، وصادر من إله واحد ، هو رب العالمين ، لا رب اليهود فقط ، ولا النصارى فقط، ولا المسلمين فقط، الذى قال فى كتابه العزيز «هو الذى خلقكم من نفس واحدة » (١) أراد به سبحانه وتعالى هداية خلقه على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، فى كل زمان ومكان ، معتمداً فى ذلك على أقوى الأدلة التى يرضى عنها العلماء المخلصون، من صحيح النقل وصريح العقل.

---

(١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف

وقد سلكت فى وضعها الطريق الواضح ، والمحجة البيضاء ، مبتعداً ما استطعت عن مثارات الخلاف التى لا يهب منها إلا ريح الجدل العقيم الذى لا نفع منه ولا جداء ، وإنما يزيد فى مدى الفرقة والشقاء . وما الذى يعود بالخير علينا إذا ظلت بعض القلوب على ما فيها من بغضاء ولبثت بعض الصدور تحمل ما تحمل من شحناء ، إن فى ذلك ولا ريب لبلاء أى بلاء !

وإننا الآن فى حياتنا الجديدة لفى أشد الحاجة إلى هداة مخلصين من كل ملة ودين ، ينشرون الألفة ، ويدعون إلى المحبة بين الناس أجمعين .

ومن رأيى أن كل من يعمل على إثارة الخلاف فى البلاد ، وبث روح التفرقة الخبيثة بين الناس ، لا يكون مخلصاً فى إيمانه الدينى ، ولا صادقا فى ولائه الوطنى .

هذا وكل ما أرجوه أن تنال هذه الرسالة من كل من يقرأها من رجال الدين وغيرهم الرضا والقبول ، وأن يجعل الله لها من الأثر ما أتمناه فى النفوس والقلوب والعقول ، حتى يسود بين الناس السلام ، ويعم الوفاق والوئام .

هذه سبيلى التى أدعو إلى الله ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

محمود أبو ريه

دين الله واحد

دين الله واحد فى الأولين والآخرين ، لا يختلف إلا فى صوره ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته — وهو ما طولب به العالمون أجمعون على ألسن جميع الأنبياء والمرسلين — فلا يتغير ؛ وهو إيمان بالله الواحد الأحد ، وإخلاص له فى العبادة — وأن يتعاون الناس فى معاشهم على البر والتقوى ، وألا يتعاونوا على الإثم والعدوان .

هذا هو دين الله الذى أرسل فى كل أمة ، ولكل قوم على مدى الدهور والأزمان . . « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » .

وقد علم من بيان الأديان الثلاثة — اليهودية والمسيحية والإسلام — ، أن أول رسول أرسل إلى الناس بعد آدم هو : نوح عليه السلام ، ولذلك جاءت الآية القرآنية « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (١٣ الشورى) .

وفى حديث نبوى : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة . والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد — وفى رواية (أولاد علات) وفى حديث آخر « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقد فسروا العلاّت بالضرائر وأصله : أن من تزوج امرأة ثم تزوج عليها أخرى كأنه علّ منها — والعلل الشرب بعد الشرب — وبنو

العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى .

وقال ابن القيم : (١)

وفيه وجه آخر أحسن ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم حين شبه دين الأنبياء الذى اتفقوا عليه — من التوحيد ، وهو عبادة الله وحده ، لا شريك له ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه — بالأب الواحد ، لاشتراك جميعهم فيه وهو الدين الذى شرعه لأنبيائه كلهم ، فقال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا — الآية » .

وقال البخارى فى تفسير ما جاء من (أن دين الأنبياء واحد) : إن دين الله الإسلام الذى أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله ، من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الأب الواحد .

وأما شرائع الأعمال والمأمورات ، فقد تختلف ، فهى بمنزلة الأمهات الشتى — وكون الأم بمنزلة الشريعة — والأب بمنزلة الدين — وأصالة هذا وتذكيره ، وفرعية الأم وتأنيثها — واتحاد الأب ، وتعدد الأم ما يدل على أنه معنى الحديث » .

وقال ابن كثير فى تفسيره : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب (٤٢ : ١٣ الشورى) : (٢)

(١) ص ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٣ بدائع الفوائد .

(٢) ص ١٠٩ ج ٤ وقال الإمام ابن تيمية : شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه ص ٨١ من اقتضاء الصراط المستقيم .

« الدين الذى جاءت به كل الرسل ، هو عبادة الله وحـــده لا شريك له — كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه ، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » أى القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ، ومناهجهم ، قال تعالى : لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولهذا قال تعالى هنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالائتلاف والاتفاق، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد :

صرح الإسلام تصريحاً لا يحتمل الريبة بأن دين الله فى جميع الأزمان وعلى ألسن جميع الأنبياء واحد (١) ، قال الله تعالى :

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا » (١٦٣ النساء)

« ومعنى « أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الخ » أى مثاله فى جنسه وموضوعه ، والغرض منه أنهم يصدرون عن نبع واحد .

وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بنى إسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب .

---

(١) ص ١٦٣

إن هذه أمتكم أمة واحدة

جاءت هذه الآية الكريمة : « إن هـذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ الأنبياء)

وتكررت هذه الآية فى سورة المؤمنون (٥٢)

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (١)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم فى قوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول : دينكم دين واحد .

وقال ابن كثير : إن دينكم يامعشر الأنبياء واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له . ولهذا قال « وأنا ربكم فاتقون » (٢)

اساس دعوة كل رسول :

كانت دعوة رسل الله جميعاً مبنية على أصل واحد : أن يبينوا للناس أنه : لا إله إلا هو ، ليؤدوا له ما يجب من العبادة الخالصة التى يستحقها سبحانه ؛ قال تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢٥ الأنبياء)

---

(١) ص ١٩٤ ج ٣ تفسير ابن كثير

(٢) ص ٢٤٧ من نفس المصدر

وقال : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [1] » (٣٦ سورة النحل)

وقال تعالى عن أول الرسل نوح :

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ » ٢٣ المؤمنون

وقال عن هود :

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره افلا تتقون ؟ » ٦٥ الأعراف

وقال عن صالح :

« وإلى ثمود أخاهم صالحا قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » ٧٣ الأعراف

وقال عن ابراهيم :

« وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ١٦ العنكبوت

رسالة موسى وعيسى عليهما السلام

أما رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فسنبينهما فيما بعد ، ونقفى عليهما ببيان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الطاغوت كما بينه الأستاذ الإمام محمد عبده هو كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع .

أصول الدين على السنة رسل الله اجمعين :

بعد أن بينا أن دين الله واحد ، وأن أساس دعوة رسل الله مبنية على أصل واحد ، يجب علينا أن نبين أصول هذا الدين الثابتة التى لا تتغير بتغير الأزمان ، وإنما الذى يتغير : هو الشرائع والمناهج فلكل رسول شرعه ومنهاج ، وهذه الأصول هى :-

الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح .

ففى سورة البقرة الآية (٦٢) وهى :-

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجر عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١)

قال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية (٢)

« إن الرسل عليهم السلام كانوا متفقين فى الدعوة إلى : الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وإنما كانوا يختلفون فى تفصيل الأعمال الصالحة ، والشرائع المصلحة ، بحسب اختلاف استعداد أممهم ، وقد طرأت على أتباعهم بدع وثنية وخرافية ، وضاعت أكثر تعاليمهم من الأمم القديمة ، وإنما بقيت بقية صالحة عند المتأخرين

---

(١) تكررت هذه الآية فى سورة المائدة وهى من خير ما نزل ونصها : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ، من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية

(٢) ص ٢١٦ ج ١ .

من اليهود والنصارى فيها من الشوائب ما أشرنا إليه آنفاً — وكذلك بقيت من جميع الأديان القديمة آثار تاريخية تدل على توحيد الله تعالى كما نراه فى تاريخ قدماء المصريين والفرس واليونان ، ووثني الهند واليابان والصين » .

ثم قال رضى الله عنه :

« أحاط القضاء فى الآية السابقة(١) باليهود فلم يدع منهم حاضراً ولا غائباً، فألزم الذل باطنهم وكسا بالمسكنة ظاهرهم ، وبوأهم منازل غضبه، وجعل أرواحهم مسقط نقمه ، فذلك الله الذى يقول (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) سجلت الآية عليهم هذا العذاب الشديد بما كسبت أيديهم ، واستشعرت قلوبهم من كفر بآيات الله وانصراف عن العبرة ، واستعصاء على الموعظة ، وخروج عن حدود الشريعة ، واعتداء على أحكامها . اقترف ذلك سلفهم وتبعهم عليه خلفهم ، فحقت عليهم كلمة ربك ، فلو قر الخطاب عندها ولم يتلها من رحمته ما بعدها ، لحق على كل يهودى على وجه الأرض أن ييأس ، وأن لا يبقى عنده للأمل فى عفو الله متنفس ، بل كان ذلك القنوط لازماً لكل عاص ، قابضاً على نفس كل معتد ، لا فرق بين اليهود وغيرهم .

---

(١) الآية السابقة : وضربت عليهم (أى اليهود) الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون — ٦١ البقرة وص ٣٣٣ وما بعدها من الجزء الأول من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده .

فإن سبب ما نزل باليهود إنما هو عصيانهم ، واعتداؤهم حدود ما شرع الله لهم ، وسنن الله فى خلقه لا تتغير وأحكامه العادلة فيهم لا تتبدل ، لهذا جاء قوله تعالى (إن الذين آمنوا أخ بمنزلة الاستثناء من حكم الآية السابقة .

وإنما ورد على هذا الأسلوب البديع متضمناً لجميع من تمسك بهدى نبى سابق وانتسب إلى شريعة سماوية ماضية ، ليدل على أن الجزاء السابق وأن حكى على أنه من خطأ اليهود خاصة ـ لم يصبهم إلا لجريمة قد تشمل الشعوب عامة ، وهى الفسوق عن أوامر الله ، وانتهاك حرماته فكل من أجرم كما أجرموا سقط عليه من غضب الله ما سقط عليهم ، وعلى أن الله جل شأنه لم يأخذهم بما أخذهم لأمر يختص بهم — على أنهم من شعب اسرائيل — أو من يهود بل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

وأما أنساب الشعوب ، وما تدين به من دين ، وما تتخذه من ملة ، فكل ذلك لا أثر له فى رضا الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم ؛ بل عماد الفلاح ، ووسيلة الفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى : بأن يكون التصديق به سطوعا على النفس من مشرق البرهان ، أو جيشانا فى القلب من عين الوجدان ، فيكون الاعتقاد بوجوده وصفاته خاليا من شوب التشبيه ، والتمثيل ، واليقين فى نسبة الأفعال إليه خالصا من وساوس الوهم والتخيل ، ويكون المؤمن قد أرتقى بإيمانه مرتقى يشعر فيه بالجلال الآلهى ، فإذا رفع بصره إلى الجناب الأرفع أغضى هيبة

وأطرق إلى أرض العبودية خشوعاً ، وإذا أطلق نظره فيما بين يديه ، مما سلطه الله عليه ، شعر فى نفسه عزة بالله ،ووجد فيها قوة تصرفه بالحق فيما يقع تحت قواه ، لا يعدو حداً ضرب له ؛ ولا يقف دون غاية قدر له أن يصل إليها ، فيكون عبداً لله وحده ، سيداً لكل شىء بعده .

وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا) مراد بذلك المسلمون الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين سيتبعونه ، وكانوا يسمون المؤمنين والذين آمنوا ...

وقوله (والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين) يراد به هذه الفرق عن الناس التى عرفت بهذه الأسماء أو الألقاب ، من الذين اتبعوا الأنبياء السابقين ، وأطلق على بعضهم لفظ (يهود والذين هادوا) وعلى بعضهم لفظ النصارى وعلى بعضهم لفظ (الصابئين) .

(من آمن بالله ، واليوم الآخر وعمل صالحاً) — هذا بدل مما قبله — أى من آمن منهم بالله إيمانا صحيحا ، وآمن باليوم الآخر كذلك ، وعمل عملا صالحا تصلح به نفسه وشئونه ، مع من يعيش معه . وما العمل الصالح بمجهول فى عرف هؤلاء الأقوام ، وقد بينته كتبهم أتم بيان (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أى أن حكم الله العادل سواء ،وهو يعاملهم بسنة واحدة لا يحابى فيها فريقا ، و يظلم فريقا ، وحكم هذه السنة : أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله لهم على لسان رسولهم ، ولا خوف عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما يستقبلهم ، ولا هم يحزنون على شىء فاتهم وقد تقدم

هذا التعبير فى الآية (٣٨) من هذه السورة (البقرة) [١] .

فالآية بيان لسنة الله تعالى فى معاملة الأمم ، تقدمت أو تأخرت .
فهو على حد قوله تعالى « ليس بأمانيكم ، ولا أمانى أهل الكتاب : من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » [٢] .

فظهر بذلك أنه لا إشكال فى حمل من آمن بالله واليوم الآخر إلخ . . على قوله (إن الذين آمنوا) إلخ . . . ولا إشكال فى عدم اشتراط الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم لأن الكلام فى معاملة الله تعالى لكل الفرق ، أو الأمم المؤمنة بنبى ووحى بخصوصها الظانة أن فوزها فى الآخرة كائن لامحالة لأنها مسلمة، أويهودية أونصرانية، أوصابئية مثلا. فالله يقول : إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس وعمل يصلح به حال الناس ، ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أمانى المسلمين ، او أمانى أهل الكتاب . وأثبت

---

(١) الآية (٣٨) نصها « قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإما يأتينكم منى هدى، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فإما يأتينكم منى هدى — من رسول مرشد ، وكتاب مبين (فمن تبع هداى) الذى أشرعه ، وسلك صراطى المستقيم الذى أحدده (فلا خوف عليهم) من وسوسة الشيطان ، ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران (ولا هم يحزنون) على فوت مطلوب ، أو فقد محبوب .

(٢) النقير ، النكتة فى ظاهر النواة .

كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح .

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السدى قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى ، فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم : ديننا قبل دينكم ! وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم . وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم ، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ! فأنزل الله تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب — الآية ، وروى نحوه عن مسروق وقتادة .

وأخرج البخارى فى التاريخ من حديث أنس مرفوعاً، (ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل) إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ! وكذبوا « لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

والحكمة فى عناية الله تعالى بالنعى على المغترين بالانتساب إلى الدين أياً كان — ظاهرة — (١) فإن هذا الغرور هو الذى صرفهم عن العمل به ، اكتفاء بالانتساب إليه وجعله جنسية فقط !! (٢) .

---

(١) أي الحكمة .

(٢) ص ٣١٦ ، ٣٣٣ — ٢٣٧ من تفسير القرآن الحكيم ج ١

المقصد الأول من مقاصد القرآن

فى بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التى دعا إليها الرسل وضل فيها اتباعهم (١)

قال العلامة السيد محمد رشيد رحمه الله فى كتابه الوحى المحمدى ، ما يلى :

إن أركان الدين الأساسية التى بعث الله تعالى بها جميع رسله ، وناط بها سعادة البشر هى الثلاثة المبينة بقوله ،

(٢ : ٦٢ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ،

وهذه الأركان الثلاثة تدل عليها أثار الملل القديمة البائدة كالمصريين ، والكلدانيين ، وبقايا كتب امها الباقية كالهنود والمجوس والصينيين . وبعد أن تكلم رحمه الله عن الإيمان بالله أخذ يتكلم :

عن الركن الثانى الدين ـ عقيدة البعث والجزاء

الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال هو الركن الثانى للدين الذى بعث الله به الرسل عليهم السلام جاء القرآن فأعاد دين النبيين فى الجزاء إلى أصله المعقول وهو ما كرم الله به تعالى الإنسان من جعل سعادته وشقائه منوطين بإيمانه وعمله اللذين هما من كسبه وسعيه لا من إيمان غيره وعمله . وإن الجزاء على الكفر والظلم والفساد فى الأرض يكون بعدل الله تعالى بين جميع خلقه بدون

---

(١) ص ١٤٥ من الوحى المحمدى وما بعدها .

محاباة شعب على شعب ، والجزاء على الإيمان والأعمال الصالحة يكون بمقتضى الفضل ، فالحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعفها الله تعالى اضعافاً كثيرة

وقد نص القرآن على ما أوحاه الله إلى إبراهيم أبى الأنبياء المعروفين الذى يدين الله بنبوتهم اليهود والنصارى وإلى موسى والأنبياء الذين كانوا من بعده على شرعه فقال : (٥٣ : ٣٥ أعنده علم الغيب فهو يرى (٢٦) أم لم ينبأ بما فى صحف موسى (٣٧) وإبراهيم الذى وفى (٣٨) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٩) وأن ليس للإنسان ألا ما سعى (٤٠) وأن سعيه سوف يرى (٤١) ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أى أن أصل دين الله لجميع رسله أن لا تحمل نفس وازرة أى خاطئة خطيئة نفس أخرى بفداء ولا غيره ، وأنه ليس للإنسان إلا سعيه وعمله ، فلا يجزى بعمل غيره وقد يدخل فى عموم عمله ما يكون سبباً له كالذى يعمله ولده ، أو تلميذه بتأثير تربيته وتعليمه ، وما يسنه من سنة حسنة أو سيئة فله مثل جزاء من يعمل بها من بعده

الأصل الجامع فى ذلك قوله تعالى (٩١ : ٧ ونفس وما سواها ٨ فألهمها فجورها وتقواها ٩ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها[1]) أى أن الله الذى خلق هذه النفس وسواها بما وهبها من المشاعر والعقل،

---

(١) أصل معنى دساها ، اخفاها مبالغة من دسه فى التراب ، واستعملت هنا ضد زكاها ، فإذا كان معنى زكاها طهرها فأظهرها وأعلى قدرها فمعنى دساها ، دنسها بما يدفن جميع مزاياها، كأنها ليست نفسا ناطقة ، واصل دساها دسسها قلبت السين الثانية ياء ولها نظائر .

قد جعلها بالهام الفطرة والغريزةمستعده للفجور الذى يرديها ويدسيها، والتقوى التى تنجيها وتعليها ، ومتمكنة من كل منهما بإرادتها والترجيح بين خواطرها ومطالبها ، ومنحها العقل والدين يرجحان الحق والخير ، على الباطل والشر ، فبقدر طهارة النفس ، واثر تزكيتهابالأيمان ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال،يكون ارتقاؤها فى الدنيا وفى الآخرة،والضد بالضد ، فالجزاء أثر طبيعى للعمل النفسى والبدنى ..

وإذا كان هذا الجزاء غير مطرد فى الدنيا لجميع الأفراد تعين أن يكون جزاء الآخرة ، هو المظهر الأكبر للعدل العام كما قال تعالى (٣ : ١٨٥ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة .

الركن الثالث للدين ـ العمل الصالح

وتكلم رحمه الله عن الركن الثالث الدين ـ وهو العمل الصالح فقال :ـ

الركن الثالث من مقاصد بعثة الرسل ـ وهو العمل الصالح ـ أثر لازم للإيمان بالله والحساب والجزاء فى الآخرة ـ وثمرة له ،وهو يمده ويستمد منه ، فكل من الإيمان والعمل يغذى الآخر ويقويه ، ويتوقف كمال كل منهما على الآخر ، فمن فسد ايمانه فسد عمله، وكان رياء ونفاقا، أو تقليدا صوريا . . ومضى فقال.

وقد روى الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير أن صعصعة بن معاوية اتى النبي (ص) فقرأ عليه (٩٩ : ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فقال :حسبى لا أبالى أن لا اسمع غيرها وروى أن بعض الأعراب سمع النبي (ص) يقرؤها فقال يا رسول الله :

امثقال ذرة ؟ قال له : نعم فقال الإعرابى : واسوأتاه ، ثم قام وهو يقولها فقال النبي : لقد دخل قلب الإعرابى الإيمان) وكان بعض كبار الصحابة ربما يعطى المسكين حبة عنب ويقول : إن فيها ذرات كثيرة اهتداء بهذه الآية وبقوله (ص) فى حديث مسلم « لا تحقرن من المعروف شيئاً »

وقال الرازى فى كتابه القيم حجج القرآن :

(فصل — فى حجة النصارى) .

(فى البقرة) إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية (٦٢) (وفى آل عمران) : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الآية (٥٥) وفى النساء (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) (الآية (١٧١) .

(وفى المائدة): إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى (الآية ٦٩).

وفيها ، : ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا : إنا نصارى الآية (٨٢)

(وفيها ، : أن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الآية (١١٨) (وفى الحديد) وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية الآية (٢٧)[١] .

ونقل العلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق من كتاب مفتاح دار السعادة تأليف ابن القيم إلى كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص٩٣) « إن

---

(١) ص ٨٦ و ٨٧

الامم السعداء فى الآخرة ، هم الأمم الأربعة المذكورون فى قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وإليك تفسير العلامة الشيخ عبد العزيز جاويش لآية .

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، والصابئون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآية ٦٢ من سورة البقرة.

بينت الآية السابقة لهذه (١) أن الله قد غضب على بنى اسرائيل بعد أن غمرهم بجميل إحسانه ، ووالى عليهم شآبيب رضوانه ، واجابهم إلى كل ما سألوه . وكذلك بعد أن جعل فيهم النبوة والكتاب، وآتاهم مالم يؤت احدا من العالمين . ذلك بأنهم عصوا امر ربهم وقتلوا بغير الحق انبياءهم ، واعتدوا على حدود الله تعالى ، فاكثروا الفساد فى الأرض ، ولم يتناهوا عن منكر فعلوه ، فكان حقا عليهم أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وأن يزودهم بغضبه وسخطه فيجعل ذلك نكالا لما بين أيديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين . وما كان لله أن يظلم هؤلاء

---

(١) هذه الآية هى « واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ،فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائهاوفومها وعدسها وبصلها » قال: اتستبدلون الذىهو أدنى بالذىهو خير ؟ اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

ليهوديتهم ولا اولئك لنصرانيتهم ، (اللهم إلا إذا اشركوا به غيره أو انكروا اليوم الآخر ، أو هجروا صالحات الأعمال) فأولئك لا يأجرهم الله ولا يؤامنهم من الفزع والخوف .

أما الذين آمنوا من قوم ابراهيم واليهود والنصارى والصابئين الذين ليسوا على دين من تلك الأديان (١) فان الله لا يفرق بين أحد منهم ما داموا يؤمنون بتوحيده وبالحياة الآخرة ، ويأتون من الأعمال صالحاتها ، فما الله بمفضل قوم على قوم حتى يقيموا توحيده ، وتطمئن نفوسهم إلى دينه ، فان فعلوا ذلك ثم أتوا من الاعمال ما يصلح لاسعاد الحياتين الدنيوية والأخروية ، فلهم أجرهم عند ربهم لاينقصهم منه شيئا .

أما الأعمال الصالحة فالمراد بها كل ما يكسب الإنسان قوة فى الدنيا وازدلافا إلى الله فى الآخرة . فمن صالحات الأعمال كل ما يفضى إلى غنى الأمم وعلو مكانتها ، كما أن من صالحات الأعمال كل ما يخفف ويلات أصحاب الويلات . ويؤدى إلى اصلاح الشئون العامة ، اجتماعية كانت أو علمية أو اقتصادية .

ومن البديهى أنه ما عنيت أمة بذلك إلا ذهب الخوف والفزع عن نفوسها ، وملأ السرور والفرح صدورها . .

ولقد خالفنا المفسرين فى تأويل قوله تعالى (إن الذين آمنوا) ذلك أن القرآن الكريم سمى ابراهيم بالمسلم ودعا دينه الإسلام (إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لله رب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب،

---

(١) مأخوذ من قولهم : صبأت ثنية الطفل إذا خرجت .

يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، والمراد من هذه الآية بيان ، أن الدين عند الله الإسلام ، وأنه من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ، أما معنى الإسلام الذى كان دين ابراهيم الخليل فإنه ، توحيد الله تعالى بالربوبية واختصاصه بالعبادة (وإن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين » على تلك القاعدة العظيمة القويمة بنى دين ابراهيم ومن تبع سنته من أهل مكة ، كما بنى دين سيد الكائنات محمد المصطفى وأهل مكة (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) .

وإجمال القول ، أن النجاة من الخوف والفزع ونيل المثوبة والأجر ، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر ، وأن يأتى من الأعمال ماهو لصلاح الدنيا والآخرة ، فمن فعل هذا فله اجره عند ربه ولا خوف عليه ولا حزن ، لا فرق فى ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء ، كموسى وعيسى ، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشىء من تلك الأديان . وهذا على نحو قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » فان الله تعالى « لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا » فمابال أولئك القوم يقسمون رحمة ربك » فتقول اليهود ليست النصارى على شىء ، وتقول النصارى ليست اليهود على شىء ؟ ثم ما بالهم خالفوا دين الله بعد إذ تبينت لهم الآيات ، وتجلت لأبصارهم

الأدلة ، فقالت اليهود عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله ، ثم هم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وإنما هم بشر ممن خلق يغفر لمن آمن منهم وعمل صالحاً ، ويعذب من أشرك به غيره وسعى فى الأرض فساداً (والله لا يحب المفسدين) .

ولقد ذهب المفسرون فى تأويل الصابئين مذاهب شتى . والذى يظهر أن المراد الخارجون عن دين ابراهيم وموسى ، وليس من اصحاب الملل والنحل الأخرى مما جاءت به النذر الخالية فى مشارق الأرض ومغاربها « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » ذلك أن الله تعالى أرسل من الرسل واصطفى من الأنبياء من لم يقص على رسوله منهم إلا النذر القليل « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » فمن آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فهو كغيره من أرباب تلك الملل المذكورة آنفاً « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فلا ميزة لأحد من أهل دين على غيره من أهل دين آخر ، ما دام جميعهم يقولون بالتوحيد ويؤمنون باليوم الآخر ولا يفسدون فى الأرض (١)

---

(١) من ٨١ إلى ٨٤ من الجزء الثانى والثالث (السنة الثالثة) من مجلة الهداية الصادرين فى القاهرة فى صفر وربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ — فبراير ومارس سنة ١٩١٢ م

وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله على جميع رسله

قال العلامة الكبير الشيخ عبد العزيز جاويش كذلك(1) فى تفسير الآية الكريمة « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

(الآية ٤ من سورة البقرة).

بين لنا القرآن الكريم المظهر الرابع من مظاهر التقوى ، وإن شئت فسمه الركن الرابع من أركانها (٢) فقال « والذين يؤمنون بما انزل إليك وما أنزل من قبلك » ، ومعلوم أن الذى أنزل إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام هو القرآن الكريم ، والذى أنزل من قبله هو الكتب السماوية التى أوحى الله بها إلى رسله الذين أرسلهم مبشرين ومنذرين .

وإنما كان الإيمان بها من الواجبات على المسلمين لقوله تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

---

(١) هو من أنبغ تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده رحمهما الله .

(٢) المذكورة فى الآية السابقة وهى : الإيمان بالله وإقامة الصلاة والإنفاق، قال تعالى فى أول سورة البقرة « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فالمسلمون بهذا التكليف الإلهى يجب عليهم أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله على رسله ، ولكن الواجب هو الإيمان الإجمالى فأما التفصيلى فإنما هو فريضة كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين . وبديهى أن العلم العملى بها لو كان فريضة عينية لأدى إلى العنت والمشقة ، والدين الإسلامى يسر كما دل عليه قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » قال الدوانى : يجب على الكفاية تفصيل الدلائل الأصولية بحيث يتمكن من إزالة الشبه وإلزام المعاندين وإرشاد المسترشدين .

ونحن نقول أن المسلمين فى هذه العصور وكثير من العصور الخالية آثمون إثماً مبينا ، لأنهم تركوا هذه الفريضة ، فريضة العلم التفصيلى الذى يمكنهم من الذود عن حرمات دينهم ، ومحاربة البدع والشبهات المنصبة عليه من كل جانب ، ولعلهم اكتفوا بتلك المماحكات الجدلية والمباحثات الصناعية التى شحنوا بها الكتب وقطعوا فى تفاصيلها الأعمار ، وإن هى إلا شكوك وشبهات لا يثبت معها علم ولا يرسخ بسببها يقين ، ولو أنهم قصروا درسهم على القرآن الكريم ومبادئه المحكمة ، ورجعوا بالناس إلى آياته البينة ، لما ركبوا بهم متن الشطط ولما نفروهم من الدين بجمودهم المشهور

يجب على المسلمين أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله على رسله لأنه

وان لم يفته إلينا بتفاصيله مطابق لما أنزل إلى رسولنا من ضروب الهداية وأسباب السعادة فإن دين الله فى كل الأمم واحد لا تختلف أحواله باختلاف الأمم وأحوالها وأزمانها وامكنتها ، وإنما الذى يختلف باختلاف ذلك هى الأحكام الفرعية المختصة بضروب المعاملات وصور العبادات كما يدل على ذلك قوله تعالى «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» .

جاء رسول الله عليه السلام لتقرير الحق والاعتراف به وتذكير الناس أن يتمسكوا به ، فما كان له أن يبطل حقاً أو يحق باطلا ، أو يجحد نبياً ، أو يستقبح حسنا ، أو يستحسن قبيحاً ، ولكنه قد جاء مؤذنا فينا بأنه قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله غير مفرق بين أحد منهم ، وكذلك أخبرنا أن الله تعالى أوحى إليه أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وبأن من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً .

فلم يأت الرسول عليه السلام ببدع من الشرائع ولكن بما قرره الله تعالى من الحق ، وأوحى به إلى انبيائه من آيات الصدق المنزلة من قبل ، كما جاء فى آية «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين

يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » .

فترى من جميع ما تقدم أن الإسلام جاء مطابقا لمقتضى الفطرة السليمة فى الإيمان بما سبق من الشرائع ، والأخذ بما تقرر من النواميس الآلهية والتشبث بأهداب الكمالات والفضائل الملية سواء جاء بها دين ابراهيم أو دين موسى أو دين عيسى ، ولا نعنى بهذا ما يشمل ما جاء به بعض تلاميذ هؤلاء من الكتب التى لم تصح نسبتها إليهم ، فإن هذه ليست من عند الله ، على أنها مع ذلك قد تحتوى على كثير من القصص والخرافات والبدع ، وعلى كثير من الصفات والأحوال منسوبة إلى الله تعالى أو رسله الكرام مع استحالتها عليهم بمقتضى الفطرة الإنسانية ، والقواعد العقلية فأمثال هذه الكتب الموضوعة لا يجوز الأخذ بها والاعتماد عليها بحال . بل لا يجوز الاعتراف بصحة مافيها إلا إذا جاء مطابقا للقواعد العقلية السليمة، وهل مثل هذه الكتب إلا كمثل ماوضعه الوضاعون فى الإسلام من المفتريات والأكاذيب التى نسبوها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ونشروها ما استطاعوا بين الأنام زاعمين أنهم ربما أدخلوا بها فى الإسلام أناسا من أهل الملل الأخرى ! مع أن الرسول عليه السلام نص على حرمة الكذب ولو فى سبيل الهداية فقال : (من كذب على فليتبوأ مقعده من النار) .

ذلك أنه عليه السلام جاء بالهدى ودين الحق ، فلم يكن فى حاجة إلى اجتذاب أنصار من يدعوهم إلى الإسلام واستهواء قلوبهم بالرغبات والمرهبات المختلقة فإن فى كتابه الكريم لمن يتأمل قليلا مايغنى الدعاة والوعاظ

عن شيء من ذلك » والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون »
وقد انفرد المسلمون بهذه الكلفة الدينية لأنهم كما أريناك متبعون لخاتم
الأنبياء والرسل فهم على قدمه — فى تعاليمه وتكاليفه وسنته ، وهم إذا
آمنوا بكتب الله جميعها فذلك لأنها مشتملة على الآداب ومكارم الأخلاق
محتوية على القواعد والأحكام الضامنة لمن يعمل بها سعادة الدارين .
وإذا هم آمنوا بالرسل فلأنهم صفوة الله من خليقته وخيرته من عباده
طهرهم وزكاهم وعلمهم ماشاء أن يعلمهم ، ثم أرسلهم إلى الناس ليأخذوهم
بأسباب الهداية ، وينأوا بهم عن معاهد الضلالة ، ولذا كان من كليات
أصول المسلمين أن شرع من قبلنا شرع لنا ، إلا إذا ورد من رسول الله
ما ينسخه .

امتاز بهذه الخاصة المسلمون لأن رائدهم كما قدمنا هو الحق وميزانهم
فى عقائدهم ومبادئهم العقل السليم ولذا كانوا أبعد أهل الملل والنحل عن
الفساد والجحود ، وأين منهم اليهود وقد كفروا بالمسيح عليه السلام إذ
جاءهم بمكارم الأخلاق ونفائس الأعلاق، فلم يؤمنوا بما جاءهم به وما كان
أحوجهم إلى الاستهداء بهديه والاسترشاد بنور ربه الذى أنزله إليه » .

هذا وإنما كان الإيمان بالكتب المنزلة من أركان التقوى ودعائمها
لأنها جاءت كما علمنا لتتمم مكارم الأخلاق ، فهى التى تأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر ، وتحث على الفضائل والمكرمات ، وتضع الحدود
فى المعاملات ، وترشد الناس إلى الصراط السوى فى تصرفاتهم وارتباطهم
بعضهم ببعض ، فمن آمن بهذه الكتب المنزلة من عند الله وقال بما فيها

من الآداب والأحكام كان جديراً أن يتأدب بآدابها ويتق مصارع السوء بهدايتها ورشدها ، فإنها كفيلة بخيرى الدنيا والآخرة . ومن ران على قلبه جهله وأحاط به إصراره على الفساد والمكابرة فى الحق والجحود لما وضح له من الآيات البينات فهو خليق أن يتهافت على المآثم والمنكرات تهافت الفراش على النار . .

وقال : إن الآخذين بأى دين، المنتحلين لأية نحلة أقرب ما يكونون إلى الخير ، وأبعد ما يكونون عن الشر — ما رسخت العقيدة فى نفوسهم، وما تمكنت من قلوبهم[1]

---

(١) من ص ٨٠ من الجزء الثانى من السنة الأولى من مجلة الهداية الصادرة فى صفر سنة ١٣٢٨ هـ مارس سنه ١٩١٠ باختصار .

إن الدين عند الله الإسلام

(أى اسلام الوجه)

قال تعالى فى القرآن الكريم (آية ١٩ و ٢٠ من سورة آل عمران) « إن الدين عند الله الإسلام » وقال : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعين ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا ، فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

(الدين) فى اللغة الجزاء والطاعة والخضوع — أى سبب الجزاء ، ويطلق على مجموع التكاليف التى يدين بها العباد لله ، فيكون بمعنى: الملة والشرع ، (والإسلام) مصدر أسلم وهو يأتى بمعنى (خضع واستسلم) وبمعنى أدى ؛ يقال : أسلمت الشىء إلى فلان — إذا أديته إليه ، وبمعنى دخل فى السلم بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحريك الخالص من الشىء ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون، ورجلا سلماً لرجل) .

وتسمية دين الحق إسلاماً — يناسب كل معنى من معانى الكلمة فى اللغة .

قال تعالى : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » .

وقد علم بذلك أن الحصر فى قوله (إن الدين عند الله الإسلام) يتناول جميع الملل التى جاء بها الأنبياء ، لأنه روحها الكلى الذى أتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الإعمال فيها .

وقد أخبر القرآن فى غير موضع أن الأنبياء كلهم ، كان دينهم الإسلام .

فقال نوح عليه السلام (١٠ - ٧٢) « فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين » .

وقال عن إبراهيم عليه السلام (٢ : ١٣٠ — ١٣٢) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه : أسلم — قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون »

وقال يوسف عليه السلام (١٢ — ١٠١) «فاطر السموات والأرض ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » .

وقالت ملكة سبأ (٢٧ — ٤٤) « رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

وقال موسى عليه السلام (١٠ — ٨٤) « يا قوم : إن كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

حتى فرعون :

وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ،

حتى إذا ادركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين (٩٠ سورة يونس)

وقال سحرة فرعون (٧ — ١٢٥) « وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا ، وتوفنا مسلمين » .

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام (٣ : ٥٢ ، ٥٣) « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

الأخطل النصرانى - مسلم

لما انشد الأخطل (النصرانى) قصيدته التى يقول فيها :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد

ذخرا يكون كصالح الأعمال

فقال له هشام بن عبد الملك هنيئاً لك أبا مالك الإسلام ! ـ أوقال: اسلمت قال الأخطل :

مازلت مسلماً — يقول فى دينى

ص ١٧٠ طبقات الشعراء لابن سلام

اسلام من فى السموات والأرض

وقال تعالى (٣ — ٨٣) « أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

المعنى : — أيتولون عن الإيمان بعد هذا البيان — وهو أن دينه واحد ، وأن رسله متفقون فيه فيبتغون غير دين الله الذى هو الإسلام « وله أسلم من فى السموات والأرض) أى والحال أن جميع من فى السموات والأرض من العقلاء قد خضعوا له تعالى ، وانقادوا لأمره طائعين وكارهين — وقد اختلفوا فى بيان إسلام الطوع والكره — فذهب بعضهم إلى أنه تعالى: هو المتصرف فيهم وهم الخاضعون المنقادون لتصرفه — قال الرازى : إن هذا هو الأصح عنده وهو كما قال تعالى : وإن من شىء إلا يسبح بحمده (١٧ : ٤٤) .

ملة إبراهيم

قال تعالى فى القرآن الكريم (٢ : ١٣٠ — ١٣٣) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب : يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء : إذ حضر يعقوب الموت مما إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، إلها واحدا ، ونحن له مسلمون » .

قال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآيات (١) :

---

(١) ص ٤٧٧ ج ١ تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده المعروف بتفسير القرآن الحكيم .

خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية فى العبادة ، وإسلام القلب له تعالى ، والإخلاص له — وتكرار لفظ (الإسلام) فى هذه الآيات يراد به تقرير (حقيقة الدين) ذلك أن العرب كانت تدعى أن لها ديناً خاصاً بها ، وأنه الحق ، وإن اختلفت فيه القبائل والشعوب ، ومنهم من كان ينتمى إلى إبراهيم على وثنيتهم ، وكذلك اليهود والنصارى ، كل يدعى ديناً خاصاً به وأنه الحق ، فبينت هذه الآيات أن هــذه الدعاوى من التعصب للتقاليد ، وأن دين الله تعالى واحد فى حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى ، والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء — وبهذا كان يوصى أولئك النبيون أبناءهم وأممهم — فتبين أن دين الله تعالى واحد ، فى كل أمة، وعلى لسان كل نبى . ولذلك قال فى آية أخرى«شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً — والذى أوحينا إليك — وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

التفرق فى الدين جاء من الجهل والتعصب

فالتفرق فى الدين ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء ، والمحافظة على الحظوظ والمنافع المتبادلة بين المرءوسين والرؤساء ، فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق فى الدين ، والاجتماع على أصليه :

(العقلى) وهو التوحيد ، والبراءة من الشرك بأنواعه .

و (القلبى) وهو الإسلام ، والإخلاص لله فى جميع الأعمال .

الاسلام فى كلام ابراهيم وبنيه

وعلم من هذا ، أن لفظ الإسلام والمسلمين فى كلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ، يراد به معناه الذى تقدم . فمن لم يكن متحققاً بهذا المعنى ، فليس بمسلم ، أى ليس على دين الله القيم — الذى كان عليه جميع أنبياء الله .

الاسلام فى عرفنا اليوم

وأما لفظ الإسلام فى عرفنا اليوم ، فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى . ولا يشترط فى إطلاق هذا (اللقب العرفى) عند أهله ، أن يكون المسلم خاضعاً مستسلماً لدين الله مخلصاً له أعماله ، بل يطلقونه أيضاً على من ابتدع فيه ماليس منه،أو ما ينافيه ، ومن فسق عنه ، واتخذ إلهاً من هواه إلخ (١) .

تلك امة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم :

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير الآية (١٣٤) من سورة البقرة ما نصه .

« تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ،ولا تسألون عما كانوا يعملون » . جاءت هذه الآية الكريمة بعد كلام عن وصية إبراهيم لبنيه وإسماعيل وإسحاق ، ويعقوب ، لبنيهم — استدرا كا على

(١) ٨ ٤٧ من نفس المصدر .

ما عساه يقع فى أذهان ذرارى هؤلاء الأنبياء الكرام — عليهم الصلاة والسلام — من أن هذا السلف الذى له عند الله هذه المكانة يشفع لهم فينجون ويسعدون يوم القيامة بمجرد الانتساب إليهم ، فبين الله فى هذه الآية : أن سنته فى عباده أن لا يُجزى أحد إلا بكسبه وعمله ، ولا يسأل إلا عن كسبه وعمله .

وقد بين فى سورة النجم — أن هذه القضية من أصول الدين العامة التى جاء بها الأنبياء من قبل « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ، أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » إلخ .

وبين فى آيات متعددة ، فى سور متفرقة ، أن المرسلين لم يرسلوا إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن بهم ، وعمل بما يرشدون إليه ، كان ناجياً ، وإن بعد عنهم فى النسب ؛ ومن أعرض عن هديهم كان هالكاً وإن أدلى إليهم بأقرب سبب . « قال : « يانوح إنه ليس من أهلك (أى ابنه) إنه عمل غير صالح » .

وإذا لم تنتفع بهم ذرياتهم الذين لم يقتدوا بهم ، فكيف ينتفع بهم أولئك البعداء الذين ليس بينهم وبينهم صلة ، إلا الأقوال الكاذبة التى يعبر عنها فى هذا العصر (بالمحسوبية) ويقولون فى مخاطبة أصحاب القبور عند الاستغاثة بهم (المحسوب كالمنسوب) .

وما أحسن قول الإمام الغزالى :

« إذا كان الجائع — يشبع إذا أكل والده دونه ، والظمآن يروى

بشرب والده ، وإن لم يشرب ، فالعاصي ينجو بصلاح والده » .

والآيات التي تؤيد هذه الآية كثيرة جدا ، فهي أصل من أصول الدين الإلهي لا يفيد معها تأويل المغرورين ، ولا غرور الجاهلين .

دين الله في الكتب التي سبقت القرآن

ما في العهد القديم

عرضنا عليك ما جاء في القرآن الكريم من أن دين الله واحد ، ودعوة كل رسول في ذلك ، وآن لنا أن نؤيد ما جاء في القرآن بما في الكتب التي سبقته ليكون ذلك أدعى إلى الثقة ، وأدنى إلى اليقين .

إن من يطلع على العهد القديم ، يجد أن كتبه وأسفاره تنطق كلها بأن الله واحد أزلي قادر على كل شيء ، يفعل ما يشاء ويختار ، وإذا كان فيه استعارات ومجازات تبدو في ظاهرها غامضة ، فإن الأفهام الدقيقة تنفذ إليها ، وتقف على أسرارها .

* * *

مما لا خلاف فيه أن رسل الله الذين أرسلهم لهداية الناس لا يمكن حصرهم ، ولا معرفة أسمائهم ، لأن الله تعالى يقول : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ، « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

وإذا كان ذلك من أدلة النقل ، فإنه ولاريب مما يؤيده العقل ، وإنا نذكر هنا أشهر الرسل التى جاءت أنباؤهم فى العهد العتيق والعهد الجديد وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام (١) .

ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام

ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لأبراهيم وإسحاق ويعقوب ، بأنى الإله القادر على كل شىء .

سفر الخروج ٦ : ٢ و ٣

---

(١) قال تعالى : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وقال : وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . والحديث « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين ، وإنما أنا رسول من المرسلين .

الوصايا العشر لموسى عليه السلام

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لاتسجد لهن ، لاتعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبىّ وحافظى وصاياى . لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا — اذكر يوم السبت لتقدسه — ستة أيام تعمل ، وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملا ما ، أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك ، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح فى السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه . أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تقتل ، لاتزن ، لاتسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئاً مما

لقريبك (١) ـــ سفر الخروج ٢٠ : ١ — ١٧
وفى الإصحاح ٢٣ :٢٥ و ٢٦ من سفر الخروج :

لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ، ولا تعمل كأعمالهم ، بل تبيدهم ، وتكسر أصنامهم ، وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك وماءك ، وأزيل المرض من بينكم .

من سفر التثنية :

إنك قد أريت لتعلم : أن الرب هو الإله ، وليس آخر سواه ـــ فاعلم اليوم وردد فى قلبك ، أن الرب هو الإله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل ليس سواه ـــ الإصحاح ٤ : ٣٥ و ٣٩

وفى الإصحاح السادس : ٤ — ٧ و ١٣ — ١٥ و١٨ :

اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التى أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ـــ الرب إلهك تتقى ،

(١) هذه الوصايا جاءت بنصها فى الإصحاح الخامس من سفر التثنية (أو الاستثناء) وختمها هناك بهذه العبارة « هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم فى الجبل من وسط النار والسحاب والضباب ، وصوت عظيم ، ولم يزد ، وكتبها على لوحين من حجر وأعطانى إياها . وبدأها بما يلى : ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : اسمع يا إسرائيل ، الفرائض والأحكام : الرب إلهنا قطع معنا عهداً فى حوريب فقال : ٥/٦ — ٢٢/ .

وإياه تعبد ، وباسمه تحلف — ولا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض — إعمل الصالح الحسن فى عينى الرب لكى يكون لك خير ،

وفى الإصحاح العاشر : ١٢ و١٣ و ١٧ و ٢٠ :

فالآن يا إسرائيل : ماذا يطلب منك الرب إلهك ؟ إلا أن تتقى الرب إلهك ، لتسلك فى كل طرقه وتحبه ، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه : إن الرب إلهكم هو إله الآلهة ، ورب الأرباب الإله الجبار المهيب : الرب إلهك تتق — إياه تعبد ، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف .

من سفر اشعياء :

الإصحاح الأربعون : ٢٨

أما عرفت ؟ أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب ، خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص .

وفى الإصحاح ٤٤ : ٦ و ٢١

هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ، رب الجنود ، أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا إله غيرى — اذكر هذه يايعقوب ، يا إسرائيل فإنك أنت عبدى ، قد جبلتك عبداً لى أنت .

وفى الإصحاح ٤٥ : ٣ و ٥ و ٦ و ٧

وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء ، لكى تعرف أنى أنا الرب

الذى يدعوك باسمك إله اسرائيل — أنا الرب وليس آخر ، لا إله سواى ، نطقتك وأنت لم تعرفنى ، لـكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس آخر ، مصور النور، وخالق الظلمة ، صانع السلام .

وفى الإصحاح ٤٦ : ٩ اذكروا الأوليات منذ القديم ، لأنى أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى .

الديانة الحقيقية :

ميخا ٦ . ٨

قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب — إلا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعاً مع إلهك .

من ترنيمة لداود :

مزمور ١٠٣ — ١ — ٦ ر١٩

باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى ، ليبارك اسمه القدوس ، باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى كل حسناته ، الذى يغفر جميع ذنوبك ، الذى يشفى كل أمراضك ، الذى يفدى من الحفرة حياتك ، الذى يكللك بالرحمة والرأفة ، الذى يشبع بالخير عمرك ، فيتجدد مثل النسر شبابك .

الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين ، عرف موسى طرقه وبنى اسرائيل أفعاله ، الرب رحيم ورءوف طويل الروح وكثير الرحمة ، الرب فى السموات ثبت كرسيه ، ومملكته على الكل تسود .

من سفر ارميا

١٠ — ١٠و١٢

أما الرب الإله فحق ، هو إله حى ، وملك أبدى . صانع الأرض بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته .

رسالة عيسى عليه السلام

جاء عيسى عليه السلام يمشى على طريق إخوانه من الرسل الكرام ، يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، وليكمل ما نقص من الديانة التى جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام ، كما هى سنة الرسل أجمعين ، اللاحق يكمل شريعة السابق .

وكأن الكتبة (١) والفريسيون (٢) أو غيرهم قد ظنوا أنه سينقض الناموس الذى أتى به موسى ، فلم ير بدأ من أن يجهر بقوله عليه السلام :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ! ما جئت لأنقض، بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض،

---

(١) الكاتب هو المفسر والمعلم للشريعة الموسوية والقانون التقليدى — والجمع كتبة

(٢) الفريسيون مدرسة دينية بين اليهود تتميز بمحافظتها محافظة دقيقة على مبادىء القانون والدين ، وهذا اللفظ أصبح يطلق على أى شخص يراعى الصور السطحية للدين ولا ينفذ إلى الروح .

لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل.

متى - إصحاح ٥/١٧و١٨

وفى رواية أخرى :

« لا تظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء ، إنى لم آت لأحل ، لكن لأتمم ، الحق أقول لكم : إنه إلى أن تزول السماء والأرض ، لا تزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل » .

الناموس الذى جاء عيسى عليه السلام ليكمله

أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل ؛

أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق وإله يعقوب — فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين (١) اجتمعوا معاً وسأله واحد منهم ، وهو ناموسى ليجربه قائلا : يا معلم ، أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها — تحب قريبك كنفسك — بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء .

متى : ٢٢ - ٣١ - ٤٠

---

(١) الصدوقيون — حزب أو مدرسة عند اليهود من المتشككين — وكانت لهم تقاليد أرستقراطية فى أوائل العهد المسيحى .

الناموس كما جاء فى انجيل مرقص

وقد جاء ذكر الناموس فى إنجيل مرقص بأوسع من ذلك ـ وهذا نص ما ورد فيه :

أفما قرأتم فى كتاب موسى كيف كلمه الله قائلا ؛ أنا إله إبراهيم وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، ليس هو إله أموات ، بل إله أحياء ، فأنتم إذا تضلون كثيراً .

فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً ، سأله أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع ؛ إن أول كل الوصايا هى ؛ اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك .

هذه هى الوصية الأولى ؛

وثانية مثلها ؛

هى ؛ تحب قريبك كنفسك .

ليس وصية أخرى أعظم من هاتين .

فقال له الكاتب ؛ جيداً (١) يا معلم بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل

---

(١) فى نسخة : حسن يا معلم بالحق قلت .

النفس ، ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح .

فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل ، قال له ؛ لست بعيـــداً عن ملـكوت الله . إنجيل مرقص ؛ ١٢/٢٦/٣٤

« أنت الإله الحقيق وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »

تـكلم يسوع ورفع عينيه نحو السماء وقال ؛ أيها الآب قد أتت الساعة ، مجد ابنك ليمجدك إبنك [١] أيضاً ، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لـكل من أعطيته — وهذه هى الحياة الأبدية — أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته . يوحنا ١٧ - ١ - ٣

ابى وابيكم والهى والهـكم

قال يسوع لمريم المجدلية ؛ لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ولـكن اذهبى - وفى نسخة ، بل إمض - إلى إخوتى وقولى لهم ؛ إنى صاعد إلى أبى وأبيـكم ، وإلهى وإلهـكم .

يوحنا ٢٠ - ١٧و١٨

---

(١) قلنا من قبل إن الـكتاب المقدس ذو استعارات بعيدة الغور لا يفهمها إلا معاصروه أو الذين أوتوا فهما ثاقباً . راجع ما قاله السيد جمال الدين الأفغانى فى بيان مغزى أقوال السيد المسيح — فيما بعد .

مكتوب للرب الهك تسجد ، وإياه وحده تعبد

... ثم أخذه (١) أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذاك قال له يسوع : اذهب يا شيطان فإنه مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

متى : ٤ — ٨ و ٩ و ١٠

ما قاله السيد المسيح عليه السلام عند ما قدم للصلب (٢)

ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى — أى إلهى ، إلهى — لماذا تركتنى ؟ . وفى نسخة لماذا شبقتنى ؟ وهى بمعنى تركتنى . متى : ٢٧ — ٤٦

وفى إنجيل لوقا ٢٣ — ٤٦ .

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ولما قال هذا ، أسلم الروح .

---

(١) لما أخرج يسوع إلى البرية ليجرب من إبليس ، أخذه إبليس إلى جبل عال وقال له ما قاله .

(٢) نقلنا ذلك عن مصدره بنصه كما وجدناه .

الصالح واحد ـ وهو الله وحده

تقدم للسيد المسيح واحـد وقال له :أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتـكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله . متى ١٩ — ١٦

وفى إنجيل لوقا : إنه لا صالح إلا الله وحده . ١٨ — ١٩

يوم القيامة علمه عند الله

سئل السيد المسيح عن يوم القيامة والساعة فقال :

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائـكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب . إنجيل مرقص ١٣ — ٣١

هذا ما قاله السيد المسيح فى الإنجيل عن الساعة وجاء مثله فى القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو » . الأعراف ١٨٦

إقتداء النبي محمد بمن قبله

قبل أن نتكلم عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، يجب أن نبين موقفه من إخوانه الذين سبقوه برسالات الله إلى الناس ، حتى نربط القول بعضه ببعض فنقول : إنه ما دامت إرادة الله قد قضت بأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالته الى الناس ، وأن يحمل هذا العبء الثقيل ، الذى حمله أولو العزم من الرسل من قبل ، فإن مما أوجبه الله عليه أن يعرف من تقدموه الى حمل الرسالات الدينية ، ويقف على سيرتهم مع أقوامهم ، وما نالوه من أذى فى سبيل دعوتهم ، وأن يقتدى بهم ، ويكون له أسوة فيهم ، وبذلك يتبين له منار الطريق الذى سيسلكه ، ويكون على بصيرة منه فى أداء رسالته ، وعلى هذا الهدى يبلغ الغاية التى بلغها اخوانه من المرسلين ، واذا لم يفعل ذلك لا يكون قد استكمل وسائل الدعوة ، ولا استوفى ما يلزم لها .

اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده

قال تعالى فى سورة الأنعام (٨٣ — ٩٠) .

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ، وأيوب

ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحي وعيسى والياس ، كل من الصالحين ، واسماعيل واليسع ويونس، ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم ، وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ـ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ،أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم ، والنبوة ، فإن يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، قل لا أسألكم عليه أجراً ، إن هو إلا ذكرى للعالمين » .

قال جار الله الزمخشرى(١) فبهداهم اقتده ـ فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم ـ وهذا معنى تقديم المفعول ـ والمراد بهم طريقتهم فى الإيمان بالله وتوحيده ، وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة ، وهى هدى مالم تنسخ ، فإذا نسخت لم تبق هدى ، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً و (الهاء) ، فى اقتده للوقف ، فتسقط فىالدرج، واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٢) :

فبهداهم اقتده ـ أى اقتد واتبع ـ وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به .

---

(١) ص ٢٦ جـ ٢ من التفسير .
(٢) ص ١٥٥ ، ١٥٦ جـ ٢

وقال ابن عباس (١) : نبيكم أمر أن يقتدى بهم .

وقال ابن حجر العسقلانى (٢) : وأجابوا عن الآية — بأن المراد اتباعهم فيما أنزل عليه وفاقه ، ولو على طريق الإجمال فيتبعهم فىالتفصيل، وهذا هو الأصح عن كثير من الشافعية ، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه .

وقد استدل بهذا على أن شرع ما قبلنا شرع لنا وهذه مسألة مشهورة فى علم الأصول .

كتب الرسل فيها هدى ونور

بعد أن أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهدى من قبله من الرسل ، بين له أن الكتب التى أوحى بها إلى هؤلاء الرسل وبخاصة التوراة والإنجيل فيها - هدى ونور .

كان محمد صلى الله عليه وسلم ينهى عن التفضيل بين الأنبياء (٣)

ومن قوله لاتباعه (لا تفضلوا بين انبياء الله) وكان ذلك انكاراً على رجل من المسلمين لطم يهودياً لأنه قال : والذى اصطفى موسى على البشر فشكاه إلى النبى فغضب غضباً شديداً على صاحبه المسلم وبين مزية لموسى فى الآخرة ثم قال « ولا أقول أن أحدا أفضل من يونس بن متى ،

---

(١) ابن عم النبى .
(٢) ص ٢٣٨ جـ ٨ فتح البارى .
(٣) ص ١٧٨ من الوحى المحمدى .

والحديث رواه الشيخان وفى روايات أخرى للبخارى (لا تخيروا بين الأنبياء) وفى بعضها (لا تخيرونى على موسى) والغرض من ذلك كله منع المسلمين من تنقيص أحد من الأنبياء عليهم السلام ، ومن التعادى بين الناس لأجلهم ومن الغلو فيه صلوات الله عليه .

فى التوراة والانجيل هدى للناس

قال تعالى فى سورة آل عمران : ٣ و ٤ .

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل ، هدى للناس ، وأنزل الفرقان » .

التوراة فيها هدى ونور

وقال فى سورة المائدة : ٤٤[1]

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا » .

الانجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين

وفى سورة المائدة : ٤٦ و ٤٧

« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه ــ من

---

(١) سورة المائدة هى آخر سورة نزلت ونظمت فيها معاملة المسلمين مع أهل الكتاب

التوراة ـ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

جاء عيسى عليه السلام بالبينات والحكمة

وفى سورة الزخرف : ٦٣ و ٦٤ .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال ، قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون ـــ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » .

القرآن مصدق بالتوراة والانجيل

نزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم بأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة ـــ والإنجيل ، وهكذا يجب أن تكون كل كتب الله مصدقا بعضها لبعض ، مادامت صحيحة ومن مصدر واحد ، ففى أول سورة آل عمران قال تعالى ؛

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هـــدى للناس ـــ وأنزل الفرقان » .

والفرقان هو العقل الذى تكون به التفرقة بين الحق والباطل

وقال فى سورة فاطر ؛ ٣١

« والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ،

إن الله بعباده لخبير بصير » .

وفى سورة الأنعام ; ٩٢

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذى بين يديه » .

فى كل دين أمة يهدون بالحق

فى كل أمة خبيثون وطيبون وفى القرآن ;

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ; سورة الأعراف ١٥٩ .

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

كانت العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم برسالته العامة قد تخلفت فى جاهليتها إلى ساقة الأمم ضلالا وجهلا ، لا يفقهون من أمر الحياة شيئاً ، ولا يحسنون من العمل إلا الحروب والغارات واعتداء كل قبيلة على ما جاورها لسلب أموالها وسبي نسائها — وكانت لهم عادات ذميمة ، وأفعال منكرة ، حتى بلغ من أمر بعضهم أنهم كانوا يئدون خشية العار بناتهم .

وقد انحدروا إلى أحط درك من الجهالة الدينية ، فكانوا يعبدون الأصنام ويقدمون لها الذبائح والقرابين — وعلى أنهم قد اتخذوا حول (الكعبة) التى يطوفون بها فى حجهم مئات الأصنام ، فإن كل واحد منهم قد اتخذ لنفسه صنما خاصا وضعه فى بيته حوله ليطوف به قبل أن يخرج منه ليضرب فى الأرض ببركته .

ولقد كان للعرب — على ماذكرناه فيهم — صفات حميدة من النخوة والنجدة وكرم الضيافة وحماية الجار والذمار وما الى ذلك . وان القرآن قد نزل بلغتهم

فأراد الله أن يبدل حياتهم ويخرجهم مما هم فيه إلى حياة كريمة تتفق

وكرامة الإنسان ، فبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول الله فى سورة الجمعة

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

ولم يقل للناس عندما ظهر بدعوته ، إن رسالته جديدة فى أصلها ، بل صرح فى آيات كثيرة أنه قد سبقه رجال غيره اصطفاهم الله لمثلها ، ولم يدّع أن الدين الذى بعث به ، هو دين خاص له ، لم ينزل على أحد قبله ، بل قرر أنه دين الله الذى بعث به سائر الرسل لهداية الناس ، ولذلك أمر أن يجهر بهذه الآية الكريمة :

« قل ما كنت بدعا من الرسل — وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى — وما أنا إلا نذير مبين » .

سورة الأحقاف : ٩

ثم نطق القرآن بهذه الآية الكريمة من سورة النساء : ١٦٣

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ».

الايمان بكل ما انزل الله من كتب ، وما ارسل من رسل :

أوجب الله على محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن هو وأمته بجميع الرسل الذين سبقوه ، بالكتب التى أوحاها الله إليهم .

ففى الآية ٢٨٥ من سورة البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

والآيات ١٣٦ — ١٣٨ من هذه السورة اصها :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط (١) وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » . وقد تكررت هذه الآية فى سورة آل عمران : ٨٤ بهذا النص :

« قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وقد جاء فى تفسيرها (٢)

أى لا تكن دعوتكم إلى شىء خاص بكم ، يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية، بل انظروا إلى جهة الجمع والاتفاق وادعوا إلى (أصل الدين وروحه الذى لا خلاف فيه ولا نزاع) وهو التسليم

(١) الأسباط ، أولاد يعقوب (٢) أى الآية ١٣٦ من سورة البقرة ص ، ٤٨٠ ومابعدها ج ١ تفسير القرآن الحكيم للاستاذ الإمام محمد عبده باختصار

بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين مع الإسلام لرب العالمين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسله (وصبغة الله) هى ماصبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة ، فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ، ولا لآراء الرؤساء ، وأهواء الزعماء ، وإنما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع ،ولا أحسن من صبغته تعالى فهى جماع الخير الذى يؤلف بين الشعوب والقبائل ، ويزكى النفوس ويطهر العقول والقلوب .

والآية تشير كذلك إلى أنه لا حاجة فى الإسلام إلى تمييز المسلم من غيره بأعمال صناعية ، كالمعمودية عند النصارى مثلا ، وإنما المدار فيه على ما صبغ الله به الفطرة السليمة ، من الإخلاص وحب الخير والاعتدال والقصد فى الأمور .

وهذه الصبغة هى التى جاءت فى الآية ٣٠ من سورة الروم وهى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

جاءت الآية ١٣٩ من سورة البقرة بهذا الأمر :

« قل أتحاجوننا فى الله ، وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون » . والآية ١٤١ من السورة تقول :

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »

وجاءت الآية ١٣٦ من سورة النساء بهذا النداء :

« يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب :

جاء أمر الله صريحاً بالدعوة التى يوجهها محمد صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب وذلك فى الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران ونصها :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (١) بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله — فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

وذلك بأن الدين الحق مبنى على قاعدتين . أن لا يعبد إلا الله ، ولا يعبد إلا بما أمر .

ولما كانت هذه الآية الكريمة أساس الدين المتين ، فسنتوسع فى ، إيراد ما جاء فى تفسيرها بأقلام كبار أئمة المسلمين :

قال جار الله الزمخشرى فى تفسير هذه الآية :

(سواء بيننا وبينكم) ، مستوية بيننا وبينكم ، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل ، وتفسير الكلمة — قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)

---

(١) السواء العدل ، قال زهير بن أبى سلمى :

فإن تدعوا السواء فليس بينى وبينكم بنى حصن بقاء

فلا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى شرع الله كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)

وعن عدى بن حاتم . ما كنا نعبدهم يا رسول الله ! قال : أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون ، فتأخذون بقولهم ؟ قال : نعم ، قال هو : ذاك :

وقرأ الحسن : سواء — بالنصب — بمعنى استوت أستواءا .

وقال ابن كثير فى تفسيرها :

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم . إلى (كلمة) الكلمة تطلق على الجملة المفيدة — كما قالها ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها . ثم فسرها بقوله وأورد الآية .

وقال ابن حجر العسقلانى فى تفسير هذه الآية :

قال أبو عبيدة : فى قوله (إلى كلمة سواء) — أى عدل ، وكذا أخرجه الطبرى وغيره ، ونسبها الفراء إلى قراءة ابن مسعود ، والمراد بالكلمة (لا إله إلا الله) وعلى ذلك يدل سياق الآية الذى تضمنه قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فإن جميع ذلك داخل تحت كلمة الحق — والكلمة على هذا بمعنى الكلام ، وذلك سائغ فى اللغة فتطلق الكلمة على الكلمات — لأن بعضها إرتبط ببعض ، فصارت فى قوة الكلمة الواحدة

بخلاف اصطلاح النحاة فى تفريقهم بين الـكلام والـكلمة (١) .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية (٢) :

دعاهم إلى أصل الدين وروحه الذى اتفقت عليه دعوة الأنبياء وهو سواء بين الفريقين — أى عدل ووسط — لا يرجح فيه طرف على آخر . وقد فسره بقوله : « أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » . والمراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء .

والمعنى : أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد ، والتصرف فيه لإله واحد هو خالقه ومدبره ، وهو الذى يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه ، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ، ورفض الشبهات التى تعرض لها — وكان اليهود موحدين ولـكن كان عندهم شىء هو منبع شقائهم فى كل حين ، وهو إتباع رؤساء الدين فيما يقررونه ، وجعله بمنزلة الأحكام المنزلة من الله تعالى (٣) . وجرى النصارى على ذلك وزادوا مسألة

---

(١) يقول النحويون : إن الـكلمة هى اللفظ المفرد الدال على المعنى ، والمركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها يسمى كلاما وجملة ، قال ابن مالك : وكلمة بها كلام قد يؤم (٢) ص ٣٢٥ وما بعدها ج ٣ تفسير المنار

(٣) فى حديث عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وسمعته يقرأ فى سورة براءة : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقلت : يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم ، فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت : بلى — راجع صفحة ٨٨ وما بعدها

غفران الخطايا — وهى مسألة تفاقم أمرها فى بعض الأزمان حين ابتلعت بها الكنائس أكثر أملاك الناس، ومن الغلو فيها ولدت مسألة البروتستانت إذ قاموا فقالوا: هلم بنا نترك هؤلاء الأرباب من دون الله، ونأخذ الدين من كتابه لا نشرك معه فى ذلك قول أحد .

والآية حجة على أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد مالم يسنده إلى المعصوم (١) ، أى فى مسائل الدين البحت . أما المسائل الدنيوية كالقضاء والسياسة فهى مفوضة بأمر الله إلى أولى الأمر .

هذه الآية أساس الدين المتين

إن هذه الآية أساس الدين المتين، وأصله الأصيل ، ولذلك كان النبي يدعو بها جميع أهل الكتاب إلى الإسلام ، كما ثبت فى كتبه إلى هرقل والمقوقس وغيرهما وهذا نص كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عاهل الروم، كما فى رواية البخارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم البريسيين و (يا أهل

---

(١) الكلام هنا للمسلمين ، والمعصوم يقصد به النبى وكذلك الأمر فى اليهود والنصارى فإنه لا يجوز لاحد منهم أن يأخذ بقول أحد مالم يسنده إسنادا صحيحا الى موسى وعيسى عليهما السلام .

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً — الآية إلى آخرها فلولا أن هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة إلى الإسلام .

فهل يعذر من يؤمن بها إذا هو أدخل فيها - باجتهاده - ماليس منها فاتخذ له أندادا ، يدعوهم لكشف الضر وجلب النفع ، زاعما أنهم وسائط يقربونه إلى الله زلفى ، ويشفعون له عنده فى مصالح الدنيا ، وهذا عين الإشراك فى الألوهية بالاجتهاد الباطل ، والقياس الفاسد الذى يشبّه الخبير العليم ، الرحمن الرحيم ، بالملوك الجاهلين ، والأمراء المستبدين ! ولا اجتهاد فى العقائد ولا قياس فى أصل الإيمان .

أم هل يعذر من يؤمن بها — أى بهذه الآية الكريمة — إذا هو اتخذ لنفسه أربابا سماهم العلماء الراسخين ، أو الأئمة المجتهدين فجعل كلامهم حجة فى الدين ، وشرعا متبعا فى التحليل والتحريم ؟ !

وذلك هو عين الإشراك فى الربوبية ، والخروج عن هداية الآية القرآنية المؤيدة بمثل قوله تعالى (٤٢ : ٢١ - أم لهم شركاء شرعوا لهم فى الدين مالم يأذن به الله ؟) وقوله (١٦ : ١١٦ - ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ، هذا حلال وهذا حرام) .

فالله تعالى قد حدد الحدود (١) ، وبين الحلال والحرام، وسكت عن

---

(١) فى حديث صحيح : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء (وفى رواية ونهى عن أشياء) فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء (وفى رواية وعفى عن أشياء) رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها — وفى رواية (فلا تبحثوا عنها) .

أشياء رحمة بنا غير نسيان منه عز وجل ، ونهانا نبيه أن نبحث عما سكت عنه ، وأن نزيد فى الدين برأينا واجتهادنا ، وإنما أباح لنا الاجتهاد لاستنباط ما تقوم به مصالحنا فى الدنيا — فهذا هو هدى الآية ، وما يعقلها إلا العالمون .

الله ربنا وربكم — لنا أعمالنا ولكم أعمالكم

مما أمر الله محمداً صلى عليه وسلم أن يستعلن به لأهل الكتاب وغيرهم، ويكون من دعوته العامة — هذه الآية الكريمة من سورة الشورى : ١٥ ونصها .

« فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

قال ابن كثير (١) اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التى قبلها ولها حكم برأسها ، قالوا ; لا نظير لها سوى آية الكرسى فإنها أيضا عشرة فصول كهذه .

وقوله (فلذلك فادع) أى فللذى أوحينا إليك من الدين - الذى أوحينا به الى جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم ، فادع الناس اليه .

---

(١) ص ١٠٩ ج ٤ .

(واستقم كما أمرت) أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل .

(ولا تتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما إختلقوه وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان وقل : (آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

(وامرت لاعدل بينكم) اى فى الحكم كما امرنى الله .

(الله ربنا وربكم) أى هو المعبود لا آله غيره ، فنحن نقر بذلك اختياراً - وأنتم وان لم تفعلوه اختياراً - فله يسجد من فى العالمين طوعا واجباراً ، وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى نحن براء منكم - كما قال سبحانه وتعالى ، (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) (لا حجة بيننا) . قال مجاهد ، لا خصومة ، وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ، ثم يفتح بيننا (أى يحكم بيننا) بالحق وهو الفتاح العليم .

(واليه المصير) أى المرجع والمآب .

الله هو الذى يحكم بين الناس جميعا

وكما جعل الله دينه واحداً ، وجعل المدار فيه على الإيمان بالله ، والعمل الصالح ، والإيمان باليوم الآخر ، وأنه ليس بأمانى أحد من أهل الأديان جميعاً فمن يعمل سوءاً يجز به ، ومن يعمل مثقال ذرة

خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فإنه سبحانه قد جعل الفصل بين عباده من حقه وحده سبحانه يوم القيامة ، لأنه هو الشهيد الخبير بأعمال الناس . وموازين الحساب وتقدير الأعمال ليست فى الأرض ، وإنما هى فى السماء : قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (الآية ٤٧ من سورة الأنبياء) . ولذلك قال تعالى فى الآية ١٧ من سورة الحج :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس — والذين أشركوا — إن الله يفصل بينهم يوم القيامة . إن الله على كل شىء شهيد » . (١)

وقال تعالى فى سورة الدخان : ٤٠

« إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » .

مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن :

لكى يجتمع الناس جميعاً على وئام ، ويعيش المسلمون مع أهل الكتاب فى سلام ، كما تدعو بذلك أصول الأديان ، ويقتضيه نظام الاجتماع وسنن العمران ، أمر الله المسلمين أن يجادلوا أهل الكتاب بالتى هى أحسن وذلك فى سورة العنكبوت : ٤٦ «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون».

---

(١) انظر هنا فى يوم الفصل ، فقد جعل الله المشركين غير أهل الكتاب.

بر اهل الكتاب والاقساط اليهم :

وأمرنا الله سبحانه أن نبر أهل الكتاب ونقسط إليهم فقال في الآية الثامنة من سورة الممتحنة : « لا ينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ؛ إن الله يحب المقسطين » .

أما الذين يقاتلوننا ويخرجوننا من ديارنا ويسيئون إلينا ويظاهرون علينا ، كالصهيونيين الملاعين ، وجميع من يؤيدونهم من أى جنس من اليهود البغاة الفاسقين أو غيرهم من أية ملة أو نحلة ، فهؤلاء لا يستحقون منا براً ولا إقساطاً وإنما جزاؤهم أن يحاربوا و قتلوا ، حتى تتطهر الأرض منهم لأنهم رجس من عمل الشيطان ، وهم ملعونون فى كل زمان . وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، يبرأون منهم ومن أعمالهم الإجرامية فى أى مكان إلى يوم الدين .

السلام على غير المسلم :

وإليك سؤالا فى هذا المعنى رفع إلى العلامة الكبير السيد محمد سيد رضا صاحب مجلة المنار رحمه الله منذ نحو سبعين سنة (١) فأجاب عنه بجواب مفصل حكيم فيه القول الفصل فى هذا الأمر ويضم قواعد وأصول مهمة تفيد المسلم وغير المسلم .

---

(١) ص ٥٨٣ — ٥٨٥ فى المجلد الخامس من مجلة المنار

(س ٣) الشيخ بسطويسى بركات بالمحلة الكبرى : قال تعالى « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » وقال تعالى « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا » وقال « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » الآية ، فهل هذا الاطلاق فى الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من اهل الكتاب وغيرهم من بنى آدم أم هو خاص بالمسلمين قيدت اطلاقة عليهم أحاديث صحيحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : أن من حق المسلم على المسلم أفشاء السلام » يعتبر من قيود الاطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ وإذا قيل أنه عام فهل ينبغى شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفة أم لا ؟

(ج) إن الإسلام دين عام ، ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله فى الناس ولو بالتدريج وجذب بعضهم إلى بعض ليكون البشر كلهم اخوة ، ومن آداب الإسلام التى كانت فاشية فى عهد النبى أفشاء السلام إلا مع المحاربين ، لأن من سلم على احد فقد أمنه ، فإذا فتك به بعد ذلك كان خائنا ناكثا للعهد . وكان اليهود يسلمون على النبى (محمد فيرد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ السام) اى الموت فكان النبى (صلى الله عليه وسلم يحييهم بقوله : وعليكم وسمعت عائشة واحدا منهم يقول له : السام عليك ، فقالت له وعليك السام واللعنة . فانتهرها عليه الصلاة والسلام ، مبينا لها أن المسلم لا يكون فاحشا ولا سبابا ، وأن الموت علينا وعليهم . وروى عن بعض الصحابة كابن عباس انهم

كانوا يقولون للذمّى السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف أنه قال لنصرانى سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى ، فقيل له فى ذلك فقال : أليس فى رحمة الله يعيش ؟ وفى حديث البخارى : الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف وروى ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحيوا بأحسن منها للمسلمين ، أوردوها لأهل الكتاب » وعليه يقال للكتابى فى رد السلام عين ما يقوله وإن كان فيه ذكر الرحمة .

هذه لمعة مما روى عن السلف ، ثم جاء الخلف فاختلفوا فى السلام على غير المسلم فقال كثيرون: إنهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد فى ذلك ، وحملوا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على الحاجة أى لا يسلم عليهم إبتداء إلا لحاجة ! وأما الرد فقال بعض الفقهاء : أنه واجب كرد سلام المسلم ، وقال بعضهم : أنه سنة وفى الخانية من كتب الحنفية ، ولو سلم يهودى أو نصرانى أو مجوسى فلابأس بالرد وهذا يدل على أنه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون ، مع أن السنة وردت به فى الصحيح .

أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافى حق غيره ، فالسلام حق عام ، ويراد به أمران، مطلق التحية ،وتأمين من تسلم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسىء .وقد روى الطبرانى والبيهقى من حديث أبى أمامة « أن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » وأكثر الأحاديث التى وردت فى السلام عامة ، وذكر فى بعضها المسلم كما ذكر فى بعضها غيره كحديث الطبرانى المذكور آنفاً .

أما جعل تحية الإسلام عامة فعندى أن ذلك مطلوب ، وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة ، أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبباً لأمر النبى (ص) والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم بلفظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد، أن الشيء يزول بزوال سببه. ولم يرد أن أحدا من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الإسلام، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر فى القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته ، وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصون له عن المخالفين وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الإسلام زادوا أيغالا فى هذا الضرب من التعظيم وأنهم ليشاهدون النصارى فى هذا العصر يجتهدون فى نشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً ، ويعلمون أولاد المخالفين لهم فى مدارسهم ليقربوهم من دينهم ويجتهدون فى تحويل الناس إلى عاداتهم وشعائرهم ، ليقربوا من دينهم ،حتى إن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عندما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحى بالتاريخ الهجرى ، وعدّوا ذلك من آيات الفتح .

ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بآدابهم وعاداتهم ، ويزعمون أن هذا تعظيم الدين .

وكأن هذا التنظيم لا نهاية له إلا حجب هذا الدين عن العالمين ؟ أن هذا لهو البلاء المبين وسيرجعون عنه بعد حين .

دعوته العامة :

بينا آنفاً دعوة كل رسول إلى التوحيد من نوح إلى عيسى عليهم السلام ، وآن لنا أن نأتى بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم لمشركى العرب ، بعد أن بينا دعوته لأهل الكتاب التى جاءت فى الآية : « قل يا أهل الكتاب إلخ » .

ولأن الشرك كان فى العرب متفشياً حتى لقد كان لكل قبيلة بل فى كل بيت — كما قلنا — صنم يعبد فقد كرر الله الدعوة فى ذلك وشدد تشديداً عظيما حتى لا نكاد نجد سورة من سور القرآن إلا وفيها آية أو آيات كثيرة تدعو إلى التوحيد الخالص . وإنا نكتفى هنا بإيراد طرف منها ، لأننا إذا نقلنا كل آيات التوحيد التى فى القرآن فإنا نحتاج إلى أن نكرس لذلك كتاباً كبيراً ؛ ففى سورة إبراهيم ٥٢ :

« هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به . وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب » .

وفى سورة البقرة : ٢١ و ٢٢ .

« يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم ، والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

وقال فى الآية ١٦٣/١٦٤ من هذه السورة :

« وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن فى خلق

السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل اللهمن السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

وفى سورة فصلت : ٦

« قل: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى، أنما إلهكم إلهواحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للشركين » .

وفى سورة الصافات : ٤ و ٥ :

« إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

وبين للشركين أوضح بيان ، بأن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون شيئاً ، فقال فى سورة فاطر : ١٣ و ١٤ :

« يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١) ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير ».

---

(١) القطمير هى لفافة النواة وهى ما عليها من الغشاء الرقيق .

أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين

وقد ضرب الله أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين فقال فى سورة الحج : ٧٣ و ٧٤ « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » .

الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك

ولتأكيد القرآن فى النهى عن الشرك قال :

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

أى أنه يغفر كل الذنوب حتى الكبائر لمن يشاء ، إلا الشرك فإنه لا يغفره بأى حال .

الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتى هى احسن

أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقيم دعوته على قواعد الحكمة، والموعظة الحسنة ، وألا يجادل إلا بالتى هى أحسن .

فقال له فى سورة النحل : ١٢٥

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

ذلك بأن الناس أمام كل دعوة أصناف ثلاثة : ـ

(١) خاصة ـ وهم العلماء أهل النظر والفهم ، فهؤلاء إنما تكون دعوتهم (بالحكمة) وإقامة الدليل العلمى والعقلى . وما أسرع العقول المستنيرة إلى فهم الحق واستساغة الحكمة .

(٢) عامة — لم يصلوا إلى مرتبة أهل النظر والفكر — فدعوتهم بالبرهان العقلى أو العلمى لا تنفعهم ، وإنما الذى يجدى معهم ، ويبلغ من نفوسهم وقلوبهم . هى (الموعظة الحسنة) التى لا تقوم على أدلة علمية ، ولا قضايا منطقية ، وعلى الداعى أن ينزل إلى عقولهم لإيتائها ما تستسيغه مما يناسبها .

(٣) معاندون مجادلون — وهؤلاء لا يقنعهم دليل ، ولا يسلمون بحجة ، فجدالهم لايكون إلا بالتى هى أحسن، لأن الشدة المنطقية أو القوة العلمية ، إنما تزيدهم عناداً وتعصباً لآرائهم .

وقد جمعت هذه الآية الكريمة أصول الدعوة الصحيحة من أطرافها كما انتهت إليه علوم النفس الحديثة .

ومن أجل ذلك كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب — وهم أهل فكر وعقل ودين — بالحكمة — وكانت للأميين من أهل مكة ومن على شاكلتهم ، بالموعظة الحسنة ليجمعهم على إله واحد يعبدونه وحده ، ولا يشركون به شيئا ، أما المعاندون فكان يجادلهم بالتى هى أحسن .

الحرية التامة فى دعوته :

وقد أمره الله بذلك فى نشر دعوته لكى يدع للناس الحرية التامة فى أن يأخذوا بدعوته أو يدّعوها — إذ لا يصح أن يكره أحداً على الإيمان بدينه ، أو أن يسيطر على أى إنسان وإنما عليه البلاغ فحسب ذلك بأن الايمان لايبنى إلا على الاطمئنان القلبي ، والاقتناع العقلى ، وإليك آيات كريمة تصرح بذلك تصريحاً لا لبس فيه ولا إبهام :

« ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .
المائدة : ٩٩

وفى سورة يونس ١٠٨

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها . وما أنا عليكم بوكيل » .

وقال فى سورة البقرة : ٢٥٦

« لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت (١) ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها والله سميع عليم » .

---

(١) الطاغوت هو كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان ، والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع .

وفى الآية ٢٧٢ من هذه السورة :

« ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء . »

وقال فى سورة الأنعام : ١٠٧

« وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل »

وفى سورة الغاشية : ٢١و٢٢

« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر » .

اليهود والنصارى أهل كتاب
وليسوا مشركين ولا كافرين

مما نذكره والأسى يملأ جوانحنا أن هناك فكرة خطيرة أعرقت فينا ، وكان لها ولا ريب أثر كبير فى الخلاف بيننا وبين إخواننا من غير المسلمين ، تلك الفكرة هى أن بعض رجال الدين من المسلمين — كما بينا فى مقدمة هذه الرسالة — يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين ، وأنه يجب أن يعاملهم المسلمون على ذلك ! وقد انتشرت هذه النزعة إلى العامة ففعلت فى نفوسهم فعلها .

وهذا الأمر الذى يأسى له كل عاقل ، إنما مرده إلى الجهل بأصول الأديان عامة ، ودين الإسلام خاصة ، وما شاب هذا الجهل من تعصب ممقوت ، لا تبرح جذوره متأصلة فى بعض النفوس بغير علم ولا إدراك ، ولا نظر ثاقب إلى ما تؤدى إليه من ضرر اجتماعى ودينى معاً .

وقد كنا نظن أن نور العلم ، وانجياب غياهب الجهل فى هذا العصر — قد اجتث هذه الشجرة التى لا تؤتى إلا ثمراً مراً ، وقضى على هذه الآفة المزمنة ، وأن الناس قد عرفوا جميعاً أنهم خلقوا من طينة واحدة ، وأنهم أمام الله سواسية ، وأن كل إنسان حر فى اعتقاده ، كما هو حر فى تفكيره وعمله ، وأن ليس لأحد أن يتدخل فى أمر عقيدته ،

أو يتسلل إلى معرفة ما استتر بين جوانحه، لأن الحكم على عقيدة الرجل من حيث إيمانه أو شركه أو كفره ليس من حق مخلوق فى هذه الحياة، وإنما هو من حق الله وحده وأنه قد استأثر — سبحانه — به، وهو العليم الخبير الذى يطلع على دخائل القلوب، ويعلم مطويات الضمائر، وما تخفى الصدور، علام الغيوب، لا تخفى عليه خافية، ولا يظهر على غيبه أحداً .

كنا نظن ذلك — ولكن وا أسفاً — فإن العلم على انتشاره فى كل النواحى لم يغير شيئاً مما وقر فى النفوس أو حاك بالصدور .

ومما يحز فى النفس أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أناس عملهم فى الحياة الدعوة إلى السلام والوئام، والحض على التعاون ونبذ الخصام . ولكن جرى عملهم على غير ما يظن الناس فيهم، لأنهم وجدوا أن حياتهم الدنيوية، ومصالحهم الشخصية لا تقوم إلا على بذر بذور الفرقة بين الناس، وبث روح الخلاف بين العباد، إتباعا لشريعة الصيد فى الماء العكر . ومن أجل ذلك رأينا أن نسوق هنا الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، على أن اليهود والنصارى لا يعتبرون مشركين، ولا كافرين، وأنهم أصحاب كتب سماوية اعترف بها القرآن الكريم، وأوجب الدين الإسلامى على كل مسلم أن يؤمن بها، بحيث لا يتم إسلامه إلا بهذا الإيمان — وقد سماهم القرآن الكريم فى كثير من آياته (أهل الكتاب) وأمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم بهذا الاسم ويعاملهم على مفهومه . وإن ذلك فى آيات كثيرة، منها الآية

الرابعة والستون من سورة آل عمران التى ذكرناها لك قبل صفحات .

ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود هنا ليس على إطلاقه، وإنما نقصد به اليهود الذين أتبعوا موسى عليه السلام بحق ، وآمنوا بتوراته الصحيحة التى أنزلها الله إيماناً صحيحاً ، وأخذوا أنفسهم بآدابها وتعاليمها أخذاً صادقاً ، أما الذين ملأوا الأرض فساداً ، ومنهم الصهيونيون ؛ والذين بلغ بهم الغرور أن يزعموا أنهم شعب الله المختار ، وأن الدنيا لهم والآخرة من حقهم وحدهم ، فهؤلاء جميعاً ليس كلامنا فيهم ، ولا هم من الذين أمرنا الله أن نبرهم ونقسط إليهم وإنما يجب علينا أن نعتبرهم من ذرية بنى إسرائيل الذين كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام وتولوهما وكل من تبعهما ! بالأذى الشديد ، واستحقوا بذلك لعنة الله التى نزلت عليهم وحاقت بهم .

تفسير آية

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم. وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ؛ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين، ولا متخذى أخدان » .

المائدة : ٥

تفسير المنار :

بين الله لنا فى هذه الآية ألا نعامل أهل الكتاب معاملة المشركين فى ذلك (إذ كان المشركون يذبحون لغير الله تعالى بالإهلال به لأصنامهم أو وضعها على (النصب) فأحل لنا مؤاكلتهم ونكاح نسائهم ثم قال :

إن الله حصر التحريم فى قوله (٦ — ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحا — الآية) وتحريم ما عداه يحتاج إلى نص .

وروى ابن جرير عن أبى الدرداء وابن زيد أنهما سئلا عما ذبحوه للكنائس ؟ فأفتيا بأكله . قال ابن زيد : أحل الله طعامهم ولم يستثن منه شيئاً .

وأما أبو الدرداء فقد سئل عن كبش ذبح لكنيسية يقال لها — جرجس أهدوه لها . أتأكل منه ؟ فقال أبو الدرداء للسائل : اللهم عفوا ، إنما هم أهل كتاب طعامهم حل لنا ، وطعامنا حل لهم ، وأمره بأكله . . .

وقد أجمع الصحابة والتابعون على هذا ، وأكل النبى من الشاة التى أهدتها إليه اليهودية ووضعت السم فى ذراعها . . .

وكان الصحابة يأكلون من طعام النصارى فى الشام بغير نكير ولم ينقل عن أحد منهم خلاف (١)

وقال ابن كثير فى تفسيره(٢) :

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء : إن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله ، وان أعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس .

---

(١) ص ١٧٧ ج ٦ تفسير المنار

(٢) ص ١٩ ج ٢

(والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم)

معناه أنهن حل لكم مطلقا ، لأنه معطوف على قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » . قال ابن كثير : (١)

لما نزلت هذه الآية — نكح الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من النساء النصارى (٢) ، فلم يروا فى ذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة فجعلوها مخصصة للتى فى سورة البقرة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) إن قيل بدخول الكتابيات فى عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها ، لأن أهل الكتاب قد انفصلوا عن المشركين فى غير موضع « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب إلخ » (٣) و « قل للذين أوتوا الكتاب والأميين — الآية » (٤) .

---

(١) ص ٢١ ج ٢

(٢) نكح طلحة بن عبد الله يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فكتب إليه عمر : خل سبيلها ! فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال عمر : لا ازعم أنها حرام . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله ان الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات ، ص ٢٥٧ ج ١ تفسير ابن كثير .

(٣) الآية الأولى من سورة البينة :

(٤) الآية ٢٠ من سورة آل عمران :

تحقيق لابن تيمية

فى معاملة أهل الكتاب

قال ابن تيمية فى فتاويه :

ليس لأحد أن ينكر على أحد أكل من ذبيحة اليهود والنصارى فى هذا الزمان ، ولا يحرم ذبحهم للمسلمين ، ومن أنكر ذلك فهو جاهل محض مخالف لإجماع المسلمين .

ومسائل الاجتهاد لا يسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة ، وإيضاح المحجة ، لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد ، فإن هذا فعل أهل الجهل والأهواء. قال تعالى : —

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » فإن قيل — هذه الآية معارضة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وبقوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) .

الشرك المطلق فى القرآن لا يدخل فيه اهل الكتاب

قيل إن الشرك المطلق فى القرآن لا يدخل فيه أهل الكتاب وإنما يدخلون فى الشرك المقيـــد ، قال تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » فجعل المشركين قسما غير أهل الكتاب — وقال « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى

والمجوس والذين أشركوا ، فجعلهم قسما غيرهم .

فأما دخولهم في المقيد ففي قوله تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .

اصل الدين الذى انزل الله به الكتب ليس فيه شرك

وسبب هذا : أن أصل دينهم الذى أنزل الله به الكتب ، وأرسل به الرسل ، ليس فيه شرك .

قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه : أنه لا آله إلا أنا فاعبدون — ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » ولكنهم بدلوا وغيروا فابتدعوا من الشرك مالم ينزل به الله سلطاناً ، (١) فصار فيهم شرك باعتبار ماابتدعوا لا باعتبار أصل الدين .

آية المائدة خاصة

وإذا قدر أن لفظ المشركات ، والكوافر ، يعم الكتابيات ، فآية المائدة خاصة ، وهى متأخرة ، نزلت بعد سورة البقرة والممتحنة، باتفاق العلماء ، كما فى الحديث « المائدة من آخر القرآن نزولا ، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، والخاص المتأخر يقضى على العام المتقدم

(١) وكذلك ابتدع المسلمون من الشرك وغيره مالا يتفق مع أصول الدين ، ولم ينزل به سلطان فى الكتاب المبين ؛ وهذا معلوم بالضرورة للعلماء المحققين .

باتفاق علماء المسلمين ... وقد ثبت حل طعام أهل الكتاب ، بالكتاب والسنة والإجماع ، والكلام فى نسائهم كالكلام فى ذبائحهم ، فإذا ثبت حل أحدهما ثبت حل الآخر ، وحل أطعمتهم ليس له معارض أصلا ، ويدل على ذلك أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، فدل على أنهم كانوا مجتمعين على جواز ذلك(١) .

(١) ص ١٠٤ جـ٢ فتاوى ابن تيمية .

الله رب العالمين

ومن هم الذين أنعم الله عليهم ؟

بعد أن بينا فيما سبق أن أهل الأديان جميعاً سواسية أمام الله ، وأنه ليس لأحد منهم فضل على آخر إلا بالعمل الصالح — نسوق كلمة جليلة من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لآية (صراط الذين أنعمت عليهم) من سورة الفاتحة بعد تفسير أول هذه السورة « الحمد لله رب العالمين »

قال رحمه الله ورضى عنه(1) : « رب العالمين » :

« يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى الرب : السيد المربى الذى يسوس مسوده ، ويربيه ويدبره ، ولفظ (العالمين) جمع عالم بفتح اللام — جُمع جمع المذكر العاقل تغليباً ، وأريد به جميع الكائنات الممكنة — أى أنه رب كل ما يدخل فى مفهوم لفظ العالم — وما جمعت العرب لفظ العالم هذا الجمع إلا لنكتة تلاحظها فيه — وهى أن هذا اللفظ لا يطلق عندهم على كل كائن وموجود كالحجر والتراب ، وإنما يطلقونه على كل جملة متمايزة ، لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذى جمعت جمعه إن لم تكن منه ، فيقال : عالم الإنسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ،

---

(1) ص ١٧ من تفسير سورة الفاتحة ، وقد افتتحت هذه السورة (سورة الفاتحة) بقوله « الحمد لله رب العالمين » لأنه سبحانه لم يكن رباً لطائفة من الناس دون أخرى ، فلم يكن رب اليهود وحدهم ، ولا رب النصارى فقط ، ولا رب المسلمين وحسب بل هو رب العالمين جميعا .

« ونحن نرى أن هذه الأشياء هى التى يظهر فيها معنى التربية الذى يعطيه لفظ (رب) لأن فيها مبدأها ،وهو الحياة ، والتغذى والتولد — وهذا ظاهر فى الحيوان .

« ولقد كان السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله يقول : الحيوان شجرة قطعت رجلها من الأرض فهى تمشى ، والشجرة حيوان ساخت رجلاه فى الأرض فهو قائم فى مكانه يأكل ويشرب ، وإن كان لاينام ولا يغفل .

صراط الذين انعمت عليهم :

وقال فى تفسير « صراط الذين أنعمت عليهم » :

« لم يكن المسلمون فى أول نزول الوحى بحيث يطلب الاهتداء بهداهم ، وما هداهم إلا من الوحى ، ثم هم المأمورون أن يسألوا الله أن يهديهم هذه السبيل ، سبيل من أنعم الله عليهم من قبلهم - فأولئك غيرهم — وإنما المراد بهذا ما جاء فى قوله تعالى « فبهداهم اقتده » (١) وقوله : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (٢) أى من الأمم السالفة — فقد أحال على معلوم أجمله فى الفاتحة وفصله فى سائر القرآن بقدر الحاجة — فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص ، وتوجيه للأنظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم فى كفرهم

(١) راجع صفحة ٨٠ .
(٢) من الآية ٦٩ من سورة النساء .

وإيمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شيء يهدى الإنسان كالمثلات والوقائع — فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد ، ونظرنا فى أحوال الأمم السالفة ، وأسباب علمهم وجهلهم ، وقوتهم وضعفهم ، وعزهم وذلهم — وغير ذلك مما يعرض للأمم — كان لهـــذا النظر أثر فى نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والاقتداء بأخبار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة ، والتمكن فى الأرض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة ، أو الهلاك والدمار . ومن هنا يتجلى للعاقل شأن علم التاريخ ، وما فيه من الفوائد والثمرات .

« ويرد هاهنا سؤال : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا ، وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم ، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، وأصلح لزماننا وما بعده ؟ والقرآن يبين لنا الجواب عنه :

دين الله في جميع الأمم واحد

« وهو أنه يصرح بأنه (دين الله فى جميع الأمم واحد) وإنما تختلف الأحكام بالفروع التى تختلف باختلاف الزمان ، وأما الأصول فلا خلاف فيها ، قال تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الآية » .

وقال تعالى « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » الآية ، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر ، وترك الشر ، وعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة — مستوفى الجميع .

« وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليه، والاعتبار بما صاروا إليه، لنقتدى بهم فى القيام على أصول الخير — وهو أمر يتضمن الدليل على أن فى ذلك الخير والسعادة على حسب طريقة القرآن فى قرن الدليل بالمدلول ، والعلة بالمعلول ، والجمع بين السبب والمسبب » (١) .

ولكى يتم القول فى هذا الأمر المهم ، نورد تفسيراً لبعض آيات كريمة من قلم هذا الإمام الجليل .

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم (٢) »

---

(١) ص ٤٦ — ٤٩ من نفس المصدر .

(٢) سورة النساء ٢٦ — و ص ٣٦ من تفسير القرآن الحكيم الجزء الخامس .

قال رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية الكريمة (١) :

معناه أنه يريد أيضاً — بما شرعه لكم من الأحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم — أن يهديكم سنن الذين أنعم الله عليهم من قبلكم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، أى طرقهم فى العمل بمقتضى الفطرة السليمة وهداية الدين والشريعة ، كل بحسب حال الاجتماع فى زمانه — كما قال .

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

وإنما كان دين جميع الأنبياء واحداً فى التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالأعمال التى تقوم الملكات وتهذب الأخلاق .

ليسوا سواء :

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى .

« ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ؛ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » (٢) .

هذه الآية من العدل الإلهى فى بيان حقيقة الواقع ، وإزالة

---

(١) ص ٤٦ — من نفس المصدر .

(٢) سورة آل عمران : ١١٣ : ١١٥

الإبهام ، وهى دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء ، وأن كل من أخذه بإذعان ، وعمل فيه بإخلاص ؛ فأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، فهو من الصالحين .

« وما يفعلوا من خير فلن يكفروه »

وقال رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية :

أى فلن يضيع ثوابه ، كما يُكفر الشىء ، أن يستر حتى كأنه غير موجود ، وقال الزمخشرى إن كفر عدى هنا إلى مفعولين لتضمينه معنى الحرمان فالمعنى لن يحرموا جزاءه .

(والله أعلم بالمتقين) وإنما يجزى العاملين بحسب ما يعلم من أمرهم ، وما تنطوى عليه نفوسهم من نياتهم وسرائرهم ، فمن آمن إيماناً صحيحاً ، واتقى ما يفسد عليه ثمرات إيمانه ، فأولئك هم الفائزون فلا عبرة بجنسيات الأديان ، وإنما العبرة بالتقوى مع الإيمان » (١) .

ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى :

« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب — من يعمل سوءاً يجز به، ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً (٢) » .

---

(١) ص ٧١ — ٧٤ ج ٤ من تفسير القرآن الحكيم للاستاذ الإمام .

(٢) سورة النساء : ١٢٣ وسبب نزول هذه الإية أنة اجتمع نفر من المسلمين واليهود والنصارى وتكلم كل منهم فى تفضيل دينه فنزلت هذه الآية .

ليس شرف الدين وفضله ، ولا نجاة أهله به ، أن يقول القائل منهم: إن ديني أفضل وأكمل ، وأحق وأثبت ، وإنما عليه ، إذا كان موقناً به ، أن يعمل بما يهديه إليه .

فإن الجزاء إنما يكون على العمل — لا على التمني والغرور ، فلا أمر نجاتكم أيها المسلمون منوطاً بأمانيكم فى دينكم ، ولا أمر نجاة أهل الكتاب منوطاً بأمانيهم فى دينهم ، فإن الأديان ما شرعت للتفاخر والتباهى ؛ ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء إليها والتمدح بها ؛ بلوك الألسنة ؛ والتشدق فى الكلام بل شرعت للعمل .

ثم قال : وإنما سرى هذا الغرور إلى أهل الأديان من اتكالهم على الشفاعات ، وزعمهم أن فضلهم على غيرهم من البشر ؛ بمن بعث فيهم من الأنبياء لذاتهم ، فهم بكرامتهم يدخلون الجنة ، وينجون من العذاب؛ لا بأعمالهم ؛ فحذرنا الله أن نكون مثلهم .

« وكانت هذه الأمانى قد دبت إلى المسلمين فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى فى سورة الحديد : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ! ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل » — الآية .

« فهذا خطاب للذين كانوا ضعفاء الإيمان من المسلمين فى العصر الأول ، ولأمثالهم فى كل زمان ؛ والله عليم بما كانوا عليه حين أنزل هذه الموعظة ، وبما آل وما يؤول إليه أمرهم بعد ذلك .

« ولو تدبروا قوله لما كان لأمثال هذه الأمانى عليهم من سلطان ؛

فقد بين لهم طرق الغرور ، ومداخل الشيطان فيها (١) » .

لعل القراء يلاحظون أنى أكثرت من النقل عن الأستاذ الإمام محمد عبده ، وأنا اجيب عن هذه الملاحظة بأن الذى سوغ لى هذا الصنيع هو أن هذا الإمام الجليل — بما أوتى من رسوخ فى العلم ، وثقوب فى الفهم ، ورجحان فى العقل — قد درس دين الإسلام وغيره من الأديان والعلوم دراسة عميقة لم يظفر بمثلها غيره من علماء المسلمين ، حتى اصبح إمام عصره غير مدافع .

وإذا كان قد وُصف بحق بأنه « يكاد يكتب الشريعة الإسلامية بقلم صاحبها » فإنا نقول إن هذا الإمام هو ولا ريب مجدد الدين فى هذا العصر ، ولم يكن تجديده مثل ما قام به المجددون قبله ، بأن يعيدوا إلى الدين بهاءه ، ويطهروه مما شابه فحسب ، وإنما كان تجديداً تقتضيه الحياة فى هذا العصر الذى فاق ما قبله من العصور بعلومه وحضارته ومشاكله ، إذ يجب أن يكون الدين صالحاً لكل زمان ومكان ، وإذا لم يكن كذلك فليس بدين حى ينفع الناس .

ولو كان فينا اليوم عالم واحد يشبه هـــذا الإمام الجليل فى علمه وخلقه ، وبصيرته وعلو نفسه ، ووجد بجانبه من رجال الدين غير المسلمين من يتعاون معه ، ويضع يده فى يده ، لا نجابت سحب الخلافات الدينية التى تراكمت على مدى الدهور فى سماء الحياة الاجتماعية ، ولصفا الجو بين أهل الأديان جميعاً ، حتى يكونوا كالأسرة الواحدة التى تعيش

---

(١) ص ٤٣٢ و ٤٣٣ ج ٥ من نفس المصدر

معتصمة بحبل المحبة والإخاء متعاونة على ما فيه السعادة والهناء .

وقال تعالى فى سورة البقرة (١١١ و ١١٢ وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ! تلك أمانيهم ! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون :

قال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هاتين الآيتين :

أى قالت اليهود . لن يدخل الجنة إلامن كان هوداً ،وقالت النصارى كذلك فى أنفسهم — وهو اختصار بديع غير مخل، وهذه عقيدة الفريقين إلى اليوم . وقد بين لنا تعالى ، أن هذا القول لا حجة له فى كتبهم المنزلة فقال : تلك أمانيهم قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؛

طالبهم تعالى بالبرهان على دعواهم فقرر لنا قاعدة لا توجد فى غير القرآن من الكتب السماوية وهى: أنه لايقبل من أحد قول لادليل عليه ، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها . .

ثم قال تعالى رداً عليهم (بلى) وهى كلمة تذكر فى الجواب لإثبات نفى سابق فهى مبطلة لقولهم (لن يدخل الجنة إلخ) أى بلى يدخلها من لم يكن هوداً ولا نصارى لأن رحمة الله ليست خاصة بشعب دون شعب ! وانما هى مبذولة لكل من يطلبها ويعمل لها عملها وهو ما بينه سبحانه وتعالى بقوله (من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) اسلام الوجه لله هو التوجه إليه وحده وتخصيصه بالعبادة دون سواه كما أشار إلى ذلك فى قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، وغيرها من

الآيات . وقد عبر هنا عن إسلام القلب وصحة القصد ، إلى الشيء بإسلام الوجه كما عبر عنه بتوجيه الوجه فى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، لأن قاصد الشيء يقبل عليه بوجهه لا يوليه دبره ، فلما كان توجيه الوجه إلى شيء له جهة تابعا لقصده واشتغال القلب به، عبر عنه به ،وجعل التوجه بالوجه إلى جهة مخصوصة (وهى القبلة) بأمر الله مذكرا بإقبال القلب على الله الذى لا تحدده الجهات ، فالإنسان يتضرع ويسجد لله تعالى بوجهه وعلى الوجه يظهر أثر الخشوع ، وظاهر أن المراد من اسلام الوجه لله ، توحيده بالعبادة والإخلاص له فى العمل ، بأن لا يجعل العبد بينه وبينه وسطاء يقربونه إليه زلفى فإنه أقرب إليه من حبل الوريد — ومن هنا يفهم معنى الإسلام الذى يكون به المرء مسلما .

ذكر التوحيد والإيمان الخالص ، ولم يحمل عليه الوعد بالأجر عند الله تعالى واستحقاق الكرامة فى دار المقامة إلا بعد أن قيده بإحسان العمل فقال : بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه وتلك سنة القرآن تقرن الإيمان بعمل الصالحات كقوله (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا .

(وبذلك) نفى امانى المسلمين كما نفى أمانى أهل الكتاب وجعل أمر سعادة الآخرة منوطا بالإيمان والعمل الصالح معاً .

اتحاد أهل الأديان الثلاثة

وإذا وصلنا إلى هنا من الكلام عن الأديان واتحادها فى الأصول ، وأنه يمكن اتفاق أهلها ، كذلك إذا خلصت النوايا ونظر إليها بعين العلم والإنصاف بعيدة عن التعصب والهوى ، فإنا ننشر كلمات رائعات لعلماء كبار من علماء الأديان الثلاثة ـــ اليهودية والنصرانية والإسلامية .

— ١ —

كلمة الحاخام الأكبر :

ونبدأ بكلمة حاخام اليهود (رحمه الله) وها هى ذى بعنوانها كما نشرت بجريدة الأهرام فى يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٥٣ :

الحرية تؤدى إلى الإخاء والمساواة

تباين العقائد لا يحول دون الاتحاد بين القلوب (١)

ألقى سيادة الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية أمس ، فى ميدان الجمهورية ، كلمة بمناسبة الاحتفال الوطنى الكبير الذى أقامته الأمة بهذه المناسبة السعيدة الكريمة قال فيها :

أيها المواطنون الأعزاء ، سلام الله عليكم ، إن الله جل جلاله

---

(١) إذا كانت هذه القلوب صافية ! ولكن هذه الكلمة التى صرح بها الحاخام الأكبر لليهود حايم ناحوم لا تجد لها أثراً بين اليهود أنفسهم ، لأن الكثرة الغالبة منهم لهم أعمال شيطانية هم لها عاملون .

وعظمت أعماله ، خالق السموات والأرض ، يشرف من عليائه على على هذا الكون الذى أبدعه بحكمته ، ونظمه بكلمته .

السمو رمز الخلق الكريم والسلوك القويم، والخلق والسلوك أساسهما الإيمان بالله والعمل بأوامره وتجنب نواهيه ، فإذا راعى بنو الإنسان على اختلاف أديانهم وصايا الله ارتفعت أرواحهم إلى أوج السماء مرددة ، فى صوت واحد ، المديح والتسبيح والتحدث بنعمة الله العميمة ، وأفضاله السابغة العظيمة .

والأرض التى نمشى فى مناكبها هى منحة من الله لبنى الإنسان . من بها عليهم ليأكلوا من ثمارها اليانعة ، ويرتووا من أنهارها العذبة ، وتكتحل عيونهم بمناظرها الخلابة ، مما يزيدهم إيماناً ببارىء الكائنات ، ومبدع المخلوقات .

إن تباين العقائد والأديان حكمة آلهية يصعب على المرء إدراك كنهها ، وكشف سرها ، بيد أن هذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب وصفاء النفوس ، فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان ، التى إذا جمعت فى باقة متناسقة بهرت العيون ، وهزت أوتار الشعور .

ومن يمن الطالع وحسن الفأل أن نرى الأمة المصرية الكريمة فى ظل الجمهورية العظيمة متآزرة متكاتفة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، مسترشدة بمبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، فالحرية هى حرية الرأى وحرية العقيدة ، وكلاهما يؤدى إلى الإخاء الخالص

لوجه الله ، وإلى المساواة بين الجميع ، بلا تمييز بين كبير وصغير ، أو غنى وفقير ، أو عظيم وحقير ، والمساواة التى هى شعار العهد الجديد من شأنها أن توحد الجهود ، وتنظم الصفوف ، توصلا لأداء العمل الصالح. واتحاد عناصر الأمـــة شبيه بالفرقة الموسيقية المختلفة الآلات والأصوات ، فإذا رفع رئيس الفرقة عصاه مشيراً إليها بالاستهلال ، ترددت من تلك الآلات المتباينة أنغام متناسقة تشنف الآذان وتأخذ بمجامع القلوب ، فقائد الفرقة هو رئيس جمهورية مصر الخالدة ، وأفرادها هم المواطنون المصريون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وألوانهم .

فإذا شمل الاتحاد السماء والأرض ، كان ذلك إيذاناً باتحاد جميع الشعوب ، ونبذ المنازعات والحروب ، وإحلال الوئام محل الخصام ، والوفاق محـــل الشقاق ، فيسلك العالم سبيل التقدم والرقى لخير الإنسانية قاطبة .

فسر على بركة الله يا حضرة الرئيس ،وفقك اللهفى إعلاء كلمة مصر، وتحقيق أمانى شعبها التالد فى ظل النظام الجمهورى العتيد الخالد »

جمعية التأليف والتقريب

كانت قد تألفت جمعية فى بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها : التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة ، وإزالة الشقاق من بين أهلها ، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق . وقد ضمت بين أعضائها كباراً من مسلمى الترك وإيران

والهند وبعض كبار الإنجليز ، وكان من أكبر أعضائها في لندن القس اسحاق طيلر — بل كان هو داعيها هنالك ، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده صاحب الرأى الأول فى موضوعها ونظامها .

ما قاله القس اسحاق طيلر فى الاسلام والمسلمين

كان القس إسحاق طيلر ينشر مقالات فى الصحف الإنجليزية عن الإسلام والمسلمين ، بعد أن أطال الدرس فى الدين الاسلامى واختبر أهله ، ويطول بنا القول إذا عرضنا لكل ما كتب هذا القس الفاضل (رحمه الله) ولكننا نشير إلى مقالتين مما كتب نشرت إحداهما فى جريدة « سنت جيمس غازت » الانجليزية فى ١٨ أبريل سنة ١٨٨٨ بعنوان (الاسلام والمسلمون) وقد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين — إذ كان قيل له إنه مبالغ فى مدح دينهم قال فيها :

« إنى ذهبت إلى مصر أحد أقطار الاسلام ، وقصدى الوحيد أن أطلع فى ذلك المكان على الأعمال المجموعة فى القرآن — من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم بقدر الامكان ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية فما لقيت مانعاً لمقصدى هذا .

أقول الحق : إن المسلمين تأثروا بما يتهمون به عناداً ، وأن أمرهم الظاهر قد شبه على النصارى ، فكيف نحكم نحن معشر النصارى عليهم بالكفر بعد أن نسمع قولهم لنا « آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » .

إنى أقر وأعترف بأنى تعجبت غاية العجب لما رأيت المسلمين راضين

بأن يتكلموا معنا عن موضوع عقائدهم ، وحاضرهم للاعتراف بذنوبهم :

قال لى أحد علماء الاسلام الذى هو عالم بكتبنا وبالقرآن ككثيرين من أمثاله . نحن لا نرى من المعصية البحث فى الدين ، بل هو محبوب عندنا ، لأن الحق انما يظهر به ويتبين الرشد من الغى .

تعالوا نبحث فى هذه المادة ، حتى تروا فى أى شىء نوافقكم ، وفى أى شىء نخالفكم ، عسى أن لا يكون اصلاح ذات البين أمراً صعباً .

لا ريب أنه حدث عندنا ما كان يجب علينا تركه ، لأننا زدنا أشياء كثيرة على ديننا الطاهر الموجود فى كتابنا الالهى .

كذلك فعلتم أنتم من قبلنا ، حتى انقلبت الأمور عليكم من تهاونكم فى حفظ الدين عن الشوائب ...

ان رجعنا الى خالص تعليم نبينا كما فى كتاب الله ، ورجعتم الى خالص تعليم عيسى عليه السلام وحوارييه ، كما فى الانجيل فلا نجد ما يفرق بيننا وبينكم .

مسيحيتكم السابقة ليست مردودة عندنا ، ولكننا نعتقد أن تعليمات عصر عيسى عليه السلام والحواريين ، غشيتها الأباطيل منذ أيام قسطنطين الأول ، ورفض تلك الأباطيل واجب . سيأتى زمان تترك فيه هذه المفاسد كلها ويبقى على الأرض دين واحد خالص ، كل انسان يقدر على قبوله .(١)

---

(١) تراجع كلمة السيد جمال الدين الأفغانى الجامعة فى دين المستقبل ، فى آخر هذه الرسالة . ص ١٦٧

إنى قبل ذلك كنت قد رأيت القبط فى عبادتهم لمريم واعتكافهم على التماثيل — وهم الذين يتعلم منهم المسلمون المصريون عقائدهم المخصوصة المتعلقة بالمسيحية — ولذلك ظننت أن صديقى كان مدركا لقضيته ، وحسب أن الإنجليزى المتمدن بالنسبة إلى المسلم العاقل مشابه للقبطى الجاهل . (١)

لا يدخل فى العقل أن نترقب أن المسلمين سيتركون عقائدهم وصور عبادتهم التى تربوا فيها ، بمحض أمرنا وإرادتنا ، ويقبلون رسومات مرسلى النصارى الضيقة ، الذين يجتهدون أن يردوهم عن دينهم إلى أحدى العقائد المتناقضة الموجـــودة بين الرومانيين أو البروتستانتيين — المسلمون يسهل عليهم أن يقبلوا كتب العهد الجديد أو الإنجيل ،ولـكن لهم الحق كالبروتستانتيين فى أن يفسروا أو يأولوا تلك الـكتب كما يشاؤون ، وهم يرفضون رفضاً تاماً كل صور العقائد المخترعة كالبنود التسعةوالثلاثين المتعلقة بالـكنيسة الإنجليزية،واعتراف الوستمنسترية(٢) أو القضاء المثلثة الأسنان وأمثال ذلك — كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض — ورسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ، ويؤمن بوجوب الصلاة ، وببقاء النفس فى الآخرة ، إما فى الرحمة ، وإما فى العذاب ، وبإلهامية الـكتب المنزلة من قبل .

---

(١) كتبت هذه المقالة منذ نحو ثمانين سنة .

(٢) نسبة إلى البلاط الملـكى الـكبير بانجلترا .

أمة محمد متقية جداً وبعض أدعيتهم ، وصور مناجاتهم حسنة للغاية ، حتى لا يمكن لأحد من المستحقرين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

وبعد أن ضرب المثل بسورة الفاتحة ودعاء القنوت ودعاء مأثور عن داود يدعوه المسلمون قال :

— لا يصعب أن يؤلف من صحف أدعية المسلمين كتاب صلاة — إن لم يذكر مأخذها — يكون مقبولا فى البلاد المسيحية .

ثم قال :

ما من عقيدة من عقائد الإسلام إلا ونراها قد تمسك بها بعض الذين يسمون عندنا المسيحيين ، وعدّد من ذلك كثيراً ، ثم قال :

وما يمكن أن نرى أحداً من المسلمين قد تمسك بمفتريات أوأباطيل كتلك الموجودة بين فلاحى جنوب إيطاليا ،

ثم تكلم فى المقارنة بين الإسلام وفرق أهل الكتاب فى أمر النساء وفى الحروب واستطرد فقال :

هناك تهمة أخرى ، وهى أن الاسلام غير متقدم ، لكن هذا شىء يمكن القول به فى حق كل الأديان الشرقية ، وهى مسألة جنسية أو اقليمية لا دينية . وختم القس هذه المقالة بهذه السطور :

إنى اترك لمقالتى الآتية بيان المذاكرة فى موضوع دين المسيح

وذكر رغبة كثير من المسلمين فى إصلاح الحال — حتى قال لى أحدهم : لا يبعد أن يحصل بين المسيحيين والمسلمين مودة تامة وتماس بأيدى الصداقة والأخوة وزوال أسباب الحرب إن شاء الله (١) .

وهذه هى المقالة الثانية وعنوانها : (٢)

القران والكتب المنزلة

إن المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته ، وهو عندهم معدود فى أولى العزم من رسل الله إلى خلقه ، فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ، ونسأل الله أن يهديهم وإيانا إلى الحق وطريق مستقيم .

ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وأنه كلام الله وتنزيل من عنده ، وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية ، وأنها بوحى من الله وإلهام ، بل يعرف من صريح كلام المسلمين أن اعتقادهم بالكتب السماوية إنما ساقه إلى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن ، فهم فى اعتقادهم بها يمتثلون أمراً من أوامره ، ويجيبون داعياً من دواعيه ، وليس فى المسلمين من يدعى أن القرآن يكذب شيئاً من الكتب الإلهية ، ولا فى إمكان مسلم أن يدعى ذلك لما يشهد به القرآن ، من أنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه

---

(١) ص ٩٢٥ — ٩٣٢ ج٤ المنار — ونحن نقول كذلك — إن شاء الله

(٢) نشرت فى جريدة سنت جيمس فى ١٣ مايو سنة ١٨٨٨ .

يختلفون ، مصدق لما معهم من الحق ، ولـكنهم يقولون : إن القرآن خاتمة الـكتب ، كما أن من أنزل عليه صلى الله عليه وسلم خاتمة الأنبياء، ولا تجد مسلماً إلا يؤمن بالتوراة والانجيل ، والزبور والقرآن .

فـكل صحيفة من الـكتب الآلهية ، ثبت بجيئها على لسان نبي صادق ، فهى عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل ، وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق .

وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم فيما يعرف بالأحاديث شيئاً من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ، ويتلقونها بالقبول ، غير أن المعروف عندنا أن الأناجيل المشهورة لم تـكتب فى عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره فى حياة من أنزل عليهم .

فلا لوم على المسلم إذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل ، كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه من الأحاديث ، لأن عروض الشبهة فى نقل من تتحقق عصمته أمر طبيعى عند عموم البشر .

قال لى أحد المسلمين : إن القرآن يشهد بأن الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل ، وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ،وما نعرفه من الـكتب الالهية نقبله ولا نـنكر شيئاً منه ، وإن كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله ، كما اختلفت الأحزاب من بينـكم .

وعندنا أن كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياؤكم من قبل ، كما تقولون فى المسيح عليه السلام .

وكما لم يقدح إنـكار اليهود لعيسى فى اصطفاء الله له ، كذلك

لا يقدح إنكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى ثبوت رسالته.

وبعد أن تكلم عما بهر العقول من الحكم الدقيقة التى برعت بها أحكام القرآن وانطباقها العجيب على ما تقتضيه طبيعة الإنسان الدينية ، من حيث طلبه للدين ، وتأثيرها الغريب فى قلوب الآخذين بها ، وما إلى ذلك قال :

« وفى الحق أن لهم أن يسألونا : هل يمكن لأمى مثل محمد ، أن يأتى بحقائق زكية نقية علية ، وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن دون أن يكون ذلك بوحى من الله وإمداد منه ؟ » .

أما ما يقال من أن القرآن لم تذكر فيه معجزة لمحمد سوى القرآن نفسه ، فيجاب عنه بأن هذا لا يقدح فى رسالته : بل هو أوضح دليل على صدقه فى دعواه ، إذ لو كان ملبساً أو مفترى لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على أصحابه ، ويحمل الناس على الإعجاب بغرائبه ، وقد رأينا أن المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات ، والذى يظهر لنا أنه لولا قساوة قلوبهم . وعنادهم لما عول فى دعواه عليها . على أن الأعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام ، أصبحت فى هذه الأيام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه . فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها .

فعدول محمد فى إثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من

المعجزة بكتابه ، وصدق أنبائه ، والبراهين العقلية التى تحدق إليها البصائر السامية — كل ذلك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم على صــــدقه ، ولا إشــكال فيه ، بل هو عين ما يطلبه المسلمون . . . إلى أن قال :

بقى شىء يشتد الإنـكار فيه منا على المسلمين ، وهو اعتقادهم بجنة جسمانية ، فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين !

على أنى أقول : وما إنـكارنا ونحن نرى فى كتاب نشيد الأناشيد المنسوب إلى سليمان بن داود عبارات إن حملت على ظاهرها كانت أدخل فى الجسمانية وعالم المادة من كل ماينسب إلى القرآن ! !

ثم إننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية فى مكاشفات يوحنا المعدودة عندنا خاتمة الأناجيل ، فإنه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهى الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها ، وما فيها من أبواب من لؤلؤ ، وأزقة من ذهب ، وجدران من جواهر ، ويفيض فيما رواه من ذلك عما لم يأت القرآن بمثله .

وإن لنا عبارة تألفها نفوسنا ، ونترنم بها فى عبادتنا مع الافتخار ، إذ نقول : (أروشليم المذهبة المباركة ، باللبن والعسل) .

وليس يخطىء قائل لنا : إن نغمات المظفرين ، وأغانى المختلفين التى نجدها فى مكاشفات يوحنا ، تذكرنا بأن غاية المسيحى من إيمانه وأمله المطلوب من عبادته ، أن يصل إلى جنة ، نعيمه فيها أن يأكل ويشرب ويسكر ويغنى ؛ كما نرى من عمله فى هـــذه الدنيا أيام

الأعياد المشهورة ، على أننا نؤول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ، ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس ، على سر معقول .

وإن العارفين من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً ، يتعالى إلى غير النهاية عن النعيم الجسدانى ، ولسنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول) ونحكم بأن المسلم لا مطمح له فى أخراه إلا الأكل والشرب، وقضاء شهوات أخرى . وقد ذكر القرآن فى سورة القيامة : من جزاء المؤمنين أن تكون وجوههم يوم القيامة ناظرة إلى ربها . ومن الأحاديث النبوية ، ما معناه أن أعظم فوز يفوز به العبد فى الآخرة هو لقاء ربه فى الغدو والآصال .

ومن حديث آخر ما يشبه المعروف عندنا « إن الله قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »(١)

وإن فى عقائد المحمديين : أن رضوان الله أكبر من كل نعيم . فإن وافقنا المسلم على أن جنة جسدانية لا تليق أن تكون جزاء المؤمن فى الآخرة ، أفلا يجوز له أن يؤول ما ورد فى كتابه من ذلك ، كما أولنا عبارات النشيد وعبارات المكاشفات ، والتأويل عليه أسهل منه علينا ، فإن عنده فى كتابه ما يشير إلى أن بعض ما قص الله عليهم من المتشابه لا يؤخذ على ظاهره ، وله فى السنة ما معناه : ليس فى الجنة شىء مما فى

---

(١) وجاءت الآية « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » السجدة ١٧ . محمود أبو ريه

الدنيا إلا الأسماء (١) ، أما نحن فلم يذكر لنا فى المكاشفات ما يسوغ التأويل ، ويشير إلى أن ما جاء فيها من الأوصاف إنما هو ضرب من التمثيل ، لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو مذكور .

فللمحمديين حق إذا طلبوا الجنة الروحانية واللذائذ السامية العقلية ، وهم مؤمنون بكتابهم ، ويرون أن هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم ، وإنى أحسب من الظلم الفاحش ، أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه فى إيضاح غوامض كتابنا المقدس » (٢) .

* * *

تعليق على ما كتب هذا القس الفاضل :

مما يسرنى جد السرور أن أجد عالماً دينياً مستنيراً يتكلم فى أصول الأديان بروح الإنصاف ، ويبحث فى أغراضها بعلم وعقل ، غير متأثر بعاطفة أو تعصب ، أو هوى ، سواء أكان هذا العالم مسلماً أم غير مسلم .

ومن أجل ذلك كان سرورى عظيما عندما وقفت على هاتين المقالتين اللتين نشرهما القس الإنجليزى الفاضل إسحاق طيلر (رحمه الله) فى الصحف الإنجليزية فى سنة ١٨٨٨ ، إحداهما بعنوان (الإسلام

---

(١) هذا حديث مروى عن ابن عباس .

(٢) ص ٥٩ — ٦٤ جـ ٥ المنار .

والمسلمون) والثانية بعنوان (القرآن والـكتب المنزلة) فقد وجدت فيهما عقلا وعلما ، وإنصافا وفهماً .

وتضاعف سروري عندما ألفيت العالم الإسلامى الذى كان يباحث هذا القس واسع الاطلاع على أصول الأديان ، وبخاصة دين الإسلام ، ويبدو أنه الأستاذ الإمام محمد عبده ، لأن ما صدر عنه من إجابات حكيمة سديدة ، وبخاصة فى ذلك التاريخ البعيد ، (سنة ١٨٨٨) ما لا يكاد يعرفه غير الأستاذ الإمام محمد عبده وأستاذه السيد جمال الدين الأفغانى (رحمهما الله) .

ولنفاسة هاتين المقالتين آثرت ضمهما إلى هذه الرسالة ليأخذا مكانهما بين صفحاتها ، وهى أولى بهما من غيرها .

ومن حسن التوفيق أن تضم رسالتى هذه آراء قطبين عظيمين من كبار أقطاب المسلمين والنصارى ، عملا جهدهما على التأليف والتقريب بين الأديان .

جمعية التأليف والتقريب :

أما جمعية التأليف والتقريب التى أسسها هذان العالمان العظيمان منذ ثمانين سنة ، واشترك فيها أحرار أبرار من جميع الأجناس البشرية ، فقد كانت من أجل الأعمال التى تحتاج إليها الإنسانية على مدى التاريخ كله .

وما أحرانا أن نقتفى أثرهم ، ونبعث أغراض هذه الجمعية من مرقدها ونؤلف — فى هذا العصر — مثلها ، لتنهج نهجها وتصل إلى أغراضها .

وإنى لأرفع صوتى بالدعوة إلى تأليف جمعية تربط بين أصحاب الفكر والعقل من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً ، وتعمل على تأليف القلوب بين أهل الأديان ، وصفاء النفوس بين جميع بنى الإنسان !

وإن خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى، هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التى وضعها العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا (رحمه الله) للاتفاق بين المختلفين فى المذاهب والأجناس ، من المسلمين ، والمختلفين فى الأديان والأجناس الأخرى وهى :

قال رحمه الله :

(نتعاون على ما نشترك فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف عليه) .

هذا ما أدعو إليه وأجهر به للناس كافة — على بصيرة — وقد بلغت ، اللهم فاشهد ؛ اللهم فاشهد . والفضل لمن يسبق فيحمل العلم .

الأديان الثلاثة متفقة في المبدأ والغاية

وهذه كلمة حكيمة لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغانى :

قال رحمه الله : الناس تجاه الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية ، والمحمدية وكتبها لابد أن يكونوا أحد رجلين :

إما رجل يعتقد أن رجال الأديان الثلاثة قد أرسلهم الله وأوحى إليهم بالتوراة والإنجيل والقرآن ، والقصد من إرسالهم ، إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وهدايتهم للصراط المستقيم فى الأمور التعبدية ، وبان الحلال والحرام وصون مصالح العباد ، بما شرعه لهم من الشريعة وإلزامهم العمل بها .

ويوضح بالإجمال : مشيئة الله بما يريده من خلقه ، وما يريد أن تكون خليقته عليه ، وعلى هـــذا فلا يمكن أن يكون قصد الله إلا واحداً ومشيئته إلا واحدة ، وكتب الوحى ، وما أنزله على الرسل لابد أن تكون متفقة فى المقصد والغاية ، ولا يصح التباين فى جوهرها ، ولا أن يخالف بعضها بعضاً .

فلننظر إلى الأمر الرئيسى الذى جاء فى التوراة (١) ــ فى أمر

(١) نقلنا فى كتابنا هذا صفوة ما فى العهد القديم والعهد الجديد والقرآن بما جاء فى أصل دعوة الرسل جميعاً .

العبادة — وما أراده الله من عباده هناك — فنرى أن الله قد نادى موسى من جانب الطور وكلمه « قائلا : إنى أنا الله ، لا رب سواى ، فاعبدنى ، أنت وبنى إسرائيل » .

ومختصر ما ورد فيها : أن طاعة الله وعبادته ، والعمل بما يبلغه الرسول ، كل ذلك له فى الآخرة ثواب وسعادة سرمدية ، فضلا عن عاجلة الدنيا .

والإنسان بسوق الحب الذاتى لا يريد ولا يحب أن يعتقد أنه سيذهب سدى بعد الموت ، لأن الاعتقاد بذلك مزعج للنفس ، مقبض للروح ، فهو يرجو بعد الفناء الظاهرى أن يبعث ويكون له معاد ، وأن يحيا حياة أبدية .

ثم لننظر ما جاء فى الإنجيل ، وما قاله المسيح فنرى أنه قال بما معناه ، « اعطيتنى سلطانا على كل جسد لأعطى حياة أبدية لكل من أعطيته ، وهذه الحياة الأبدية ، أن يعرفوا أنك أنت الإله الحقيق وحدك ، ويسوع هو المسيح الذى أرسلته » . (١)

فالعيسوية هى (ناموس) جاء متمماً مكملا لماقبله من التوراة ، كماقال المسيح : جئت لأتمم الناموس لا لأنقضه إلخ .

ثم إذا نظرنا إلى المحمدية — نرى القرآن مشحوناً بتوحيد الله ولزوم طاعته وعبادته ، بقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئاً » « والحمد لله

---

(١) ٢ و ١٧/٣/ انجيل يوحنا .

رب العالمين » و « وإياك نعبد وإياك نستعين » .

هكذا نرى الأديان الثلاثة متفقة فى الأمور التعبدية ، بلا أدنى تباين أو تخالف .

ثم ننظر فى المعاملات وما أجيز منها ، فى تلك الأديان ، وما نهى عنه فيها ، فنرى أن ما جاء به موسى ، أو ما أمره الله به من الوصايا قد عمل بها المسيح عليه السلام ولم ينقض ، أو ينقص منها شيئاً ، وكذلك ، محمد صلى الله عليه وسلم فإنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

قلنا إن الناس تجاه الأديان الثلاثة وكتبها أحد رجلين :

رجل يعتقد بالوحى ويؤمن بالأنبياء والرسل ؛ ورجل يجحد الوحى ولا يؤمن بالأنبياء ، ولا بإرسالهم من عند الله .

أما الرجل المؤمن فقد بحث ودقق وطبق كتب الأديان الثلاثة بعضها على بعض كما مرَّ ، فلم يجد فيها أقل تباين ، بل وجدها متفقة فى المقصد والغاية .

وأما الرجل الكافر ، ومنكر الوحى فيقول : إن الكون مع حوادثه من حيث حقيقتهما ليس فيهما شىء جديد وما نراه جديداً ، إنما هو فى شكل الإبراز ، وصورة الإلقاء والتلقى ، فيأتى فى قرن من القرون أولو بصيرة ولب ودهاء فيعلمون تعليما بشكل خاص ؛ وصور معلومة عندهم تأخذ من نفوس الخلق كل مأخذ ، ويتعبد بها إذا وضعت فى شكل تعبدى ، أو يعمل بها إذا أفرغت فى قالب تعليمى .

فالتعليم بتوحيد الله وتقديسه معروف عند قدماء المصريين قبل موسى بأجيال .

والتثليث من تعاليم الوثنيين . وقد قال به فيثاغورث الفيلسوف اليونانى قبل المسيح بخمسمائة عام . وأن موسى وعيسى ومحمداً ، هم رجال عقلاء حكماء امتازوا عن وسطهم ، وجمعوا من معتقدات الأقدمين قواعد وأقوالا وضعوها فى كتب لا يعقل أن تكون من إله السماء ! !

ويقول ذلك المنكر إننا لو سلمنا أن فى كتب الأديان شيئاً من النفع فهو لا يوازى مضار ما نراه بين أهل الدين نفسه والأديان من الاختلاف ، والتنافر ، والمشاحنة ، والبغضاء ، ولو كانت من الإله حقيقة لجعلهم أن يتفقوا عليها ولا يختلفوا ، ثم يستحيل أن يكون فيها ما يرى من الخرافات إلخ .

قال جمال الدين : هذا غاية ما عند الجاحد المنكر من القول والحجاج .

والمطلوب منه فى موضوعنا هنا ، ليس الإيمان بالوحى ، وبالأنبياء ، بل ما إذا كانت كتب الأديان الثلاثة متفقة فى التعاليم الجوهرية وفى المقصد والغاية ـ أم لا ؟

أما اتفاقها وعدم تخالفها ، فقد ثبت ، ولا يستطيع أحد جحوده وإنكاره .

وأما ما يراه المنكر ونراه نحن أيضاً من اختلاف أهل الأديان ، فليس هو من تعاليمها ، ولا أثر له فى كتبها . وإنما هو صنع بعض

رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ، ويشترون بآياته ثمناً قليلا ، ألا ساء ما يفعلون ! .

رؤساء الأديان وما أنفعهم إذا صلحوا ، وما أضرهم إذا فسدوا ، فالأديان فى أصلها وجوهرها ، وازع عظيم ، ودواء نافع مفيد لكثير من أمراض البشر . هذا إذا أحسن الأطباء (وهم هنا رؤساء الأديان) عدم خلط ذلك الدواء بالضار من الأجزاء ، وراعوا قابلية العقول قبل الأجسام ، وأعطوا منه بقدر معلوم ، بقول مفهوم ، وبيان معقول [١] .

محمد بعد موسى وعيسى :

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام والقرآن ، بعدأن تقدمه موسى صلى الله عليه وسلم بالتوراة وعيسى (ص) بالانجيل .

فلم يمض على بنى إسرائيل دهر طويل بعد موسى حتى تلاعب الكهنة والكتبة ، والفريسيون بأحكام التوراة وبكثير من أساسات الناموس الموسوى ، فجاء عيسى مصلحا ما اختل ، ومداويا ما اعتل ، ومتمما لما انقص من ذلك الناموس — وأدلى بالإنجيل — وفيه وفى التوراة (الهدى) وما يلزم للخلق فى الارشاد ولكن لم يمض كذلك حين من الدهر حتى ظهرت الاضطرابات الدينية والفرق — من صابئة ويعقوبية وغيرهما — وساء الكثير من الناس فهم أقوال المسيح الروحانية العالية والتصوفية المحققة .

---

(١) ص ٣١٣ — ٣١٧ خطرات جمال الدين .

وظهر فى العرب ما هو أشد وطأة ، إذ استفحل بينهم أمر عبادة الأوثان ، وطمت الضلالة ، والغواية وعمت الأعمال البربرية عموم القبائل العربية، حتى لم يستثن منها فريق ولا قبيل .

تلك الأعمال التى تقشعر منها الأبدان كوأد (دفن) البنات أحياء وما أشبه وباقى الضلالات من العبادات، وتعدد الآلهة من هبل أكبر، وعزى واللات ومناة وغير ذلك فجاء محمد (ص) رسولا مصدقا لصحيح التوراة والإنجيل - داعيا إلى الله وتوحيده ، مرشداً للخير أمينا - بشريعة سمحة تكفلت لعموم الخلق بكل سعادة، مادية ومعنوية ، مقبحا للشرك بالآله والمشركين به مظهراً بطلان ما يعبدونه من دون الله ، بقرآن معجز وحجج بالغة، مثل قوله (قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ،قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار [1] الرعد ١٦ .

(١) ص ١٥٥ و ١٥٦ من الخاطرات .

غرض جمال الدين الأفغانى الأسمى فى الحياة
أن يتحد أهل الأديان

كان عرض جمال الدين الأسمى فى حياته أن يعيش أهل الأرض فى صفاء ، لا بغضاء بينهم ولا شحناء ، ومن قوله فى ذلك :

رجعت لأهل الأرض ، وبحثت فى أهم ما فيه يختلفون ! فوجدته (الدين) فأخذت الأديان الثلاثة وبحثت فيها بحثاً دقيقاً مجرداً من كل تقليد ، منصرفاً عن كل تقييد ، مطلقاً للعقل سراحه .

فوجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان ، أن الأديان الثلاثة ، الموسوية ، والعيسوية ، والمحمدية ، على تمام الاتفاق فى المبدأ والغاية ، وإذا نقص فى الواحد شىء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية ، وإذا تقادم العهد على الخلق ، وتمادوا فى الطغيان ، أو أساءت الكهان فهم الناموس . أو أنقصوا من جوهره — أتاهم رسول بإرفاء وتأييد فأكمل لهم ما أنقصوه ، وأتم بذاته ما أهملوه ; وعلى هذا — لاح لى بارق أمل كبير أن يتحد أهل الأديان الثلاثة ، مثلما اتحدت الأديان فى جوهرها وأصلها وغايتها ، وأن بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة ، فى هذه الحياة القصيرة .

وبعد أن وضع جمال الدين لذلك خططاً ووسائل للدعوة ، ولم يكن قد خالط أهل الأديان كلهم ، ولا تعمق فى أسباب اختلاف — حتى أهل الدين الواحد — وتفرقهم فرقاً وشيعاً ، علم ، أن دون اتحاد أهل

الأديان تلك الهوات العميقة ، وأولئك المرازبة الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة (حانوت) . ، . ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية ، والطائفية ، والمذهبية ، وأن أى رجل يجسر على مقاومة التفرقة ونبذ الاختلاف ، وإنارة أفكار الخلق بلزوم الائتلاف رجوعاً إلى أصول الدين الحقة — فذلك الرجل يكون عندهم قاطع أرزاق المتجرين فى الدين ، وهو فى عرفهم الكافر الجاحد المارق المهرتق المفرق الخ .

ولما انتهى بى العلم إلى ذلك الحد ، انقلبت أفراحى بالخيال أتراحاً ، ورجعت عن نظريتى والخيبة ملء إهابى وجبتى »(١).

مغزى أقوال السيد المسيح :

سأله سائل ، قال : إن النصرانية لا تعلم التوحيد ، بل أساسها قائم على التثليث والإنجيل طافح بمثل أقوال المسيح « أنا فى الآب والآب فىَّ » ومثل قوله « أيها الآب : مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً » .

فقال جمال الدين : إن المسيح (ص ع) وضع أساس تعليمه والغاية من مجيئه ، أن يكمل الناموس لا أن ينقضه ، وناموس موسى بنى على التوحيد ، فلا يصح نقض ذلك الأساس . وإن ورد بعض الأقوال التى يخالف ظاهرها ذلك الأساس وجب الرجوع إلى التأويل — كما قدمنا — وإلا يرمى أى دين بالضعف والوهن .

---

(١) ٨١ — ٨٣ من خاطرات جمال الدين

وأما أمثال قول المسيح « أنا فى الآب والآب فىّ » فقد ورد عنه « أبى وأبيكم » وكلهم أبناء الله يدعون». وفى التوراة جاء ذكر«إسرائيل ابنى البكر » وهذه الأقوال كلها تصوف محض .

وورد فى كلام أهل التصوف من المسلمين أقوال مغلقة ، مثل قول الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ، والخوّاص ، والجنيد والحلاج ، والجيلى ، وابن مشيش ، والسهروردى ، والبكرى وغيرهم ، وإليك أمثلة منها :

يقول الشيخ الأكبر فى بعض صلواته :

« اللهم يامن ليس حجابه إلا النور ، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور ، أسألك بك فى مرتبة إطلاقك عن كل تقييد ، التى تفعل فيها ما تشاء وتريد ، وبكشفك عن ذاتك بالعلم النورى ، وتحولك فى صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصورى » .

وقول السيد البكرى : « نعم العبد الذى به كمال الكمال ؛ وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ، ولا اتصال ولا انفصال » .

قال جمال الدين : ترون من هذه الكلمات المتناقضة ظاهراً — إنما أراد نفى الحلول الذاتى — فأتى لذلك بنفى الحلول أولا ، وإلا فكيف يعقل ، لو بقينا على مفهـــوم الظاهر من معنى الكلمات ، أن المتصل فى الوقت ذاته يكون منفصلا !

فمانى التصوف — وإن كانت مغلقة فى الغالب — لا يفهمها إلا أصحاب الذوق والمواجد ، ويعسر على غيرهم تناول فهمها — فلا بأس

من التقريب فى التأويل ، لينتفى غير المعقول .

خير مثال :

وخير مثال يقرب العقل المفهوم فى مثل هذه الحال والأقوال ، « المرآة » التى تمثل الشىء تماماً ، فيفتح بهذا المثل بعض مغلقات ما ذكر من كلام المتصوفة : فإذا قابلت المرآة الشمس ، رأيتها فى المرآة . ولا ولا يعترى الإنسان أدنى شبهة أنها « الشمس » على غير طريقة الحلول فى المرآة ، ولا على صورة الاتحاد ، أو الاتصال ، أو الانفصال .

وحقيقة ذلك المرئى من الشمس إنما تجلى فى المرآة (لشفافيتها) وبتلك الشفافية حصل ذلك الانطباع على تلك الصورة — على غير حلول ولا ولا إلخ ؛ ثم قال ... وإذا علمنا أن تجلى الشمس فى المرآة حصل لشفافيتها ، هكذا تجلى الذات فى خلقة عندما تتطلف الكثافة الترابية والجسمانية ، وتشف الروح وتتمكن من اتصالها بعالمها — أن ترى من الذوق فى الشهود مالا يسعه إلا التعبير بالمتناقضات ظاهراً — كما تقدم — وليس ثمة تناقض .

وكلام المسيح (ص . ع) إن هو إلا غاية فى التصوف ، ولا يصح حمله أو فهمه على صورته الظاهرية , وإلا لانتقض أساس الناموس الموسوى الذى إنما أتى ليتممه ، فلا يصح أن تنزل التوراة على موسى من عند الله (بالتوحيد) وينزل الإنجيل من عند الله على عيسى (بالتثليث) !

وصريح أقوال المسيح فى جوهر الاعتقاد أكبر دليل على صحة

ما نقول : من أن الأديان الثلاثة متفقة فى المقصد والغاية(١) .

وبعد أن فرغنا من الكلام عن دين الله الذى جاء على ألسنة جميع الرسل ، وأثبتنا أنه دين واحد فى كل زمان ببراهين لا تدع للشك سبيلا ، نجد من الخير أن نحلى رسالتنا بآيات بينات من الكتب المقدسة للأديان الثلاثة المشهورة التى يدين بها أغلب سكان العالم اليوم وهى :

دين موسى ، ودين عيسى ، ودين محمد ، صلوات الله عليهم جميعاً .

ونبدأ بآيات من العهد القديم والعهد الجديد ، ونقفى عليها بالموعظة الجليلة التى ألقاها السيد المسيح عليه السلام على الجبل ، ثم نتم رسالتنا بآيات من القرآن الكريم تتصل بموضوع الرسالة ، ونختمها بآيات أخرى من آداب ووصايا ومواعظ القرآن ، وبذلك ننتهى إلى الغاية التى نريدها بعون الله وتوفيقه .

(١) من ص ٢١٨ ـ ٢٢٣ من نفس المصدر .

آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله

فى العهد الجديد

لكى نتم القول فى دعوة السيد المسيح عليه السلام نأتى بآيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله فى العهد الجديد :

من سفر التكوين :

الفصل العدد

١٥ ٦ آمن إبراهيم بالله فحسب له بذلك برا — رومية ٤ : ٣
غلاطية ٣ : ٦ — يعقوب ٢ : ٢٣ .

١٧ ٤ إنى جعلتك أباً لأمم كثيرة — رومية ٤ : ١٧

من سفر الخروج :

الفصل العدد

٣ ٦ أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب - متى ٢٢:٣٢
مرقص ١٢ : ٢٦ لوقا ٢٠ : ٣٧ .

من سفر تثنية الاشتراع

٦ ٤ اسمع يا إسرائيل : إن الرب إلهنا رب واحد .

مرقص ٢١ : ٢٩

• أحبب الرب إلهنا بكل قلبك ، وكل نفسك ، وكل

الفصل العدد

قوتك - متى ٢٢ : ٣٧ مرقص ١٢ : ٣٠ لوقا ١٠: ٢٧

١٣ و١٠ : ٢٠ للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد - متى ٤ : ١٠

لوقا ٤ : ٨

١٦ لا تجرب الرب إلهك - متى ٤ : ٧ لوقا ٤ : ١٢

٨ ٣ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان متى ٤ : ٤ لوقا ٤ : ٤

من سفر المزامير

١٧ ٣ سأكون متوكلا عليه - عبرانين ٢ : ١٣

٤٤ ٧ إن عرشك يا الله إلى دهر الدهور - عبرانيين ١ : ٨

١١٦ ١ سبحوا الرب يا جميع الأمم - رومية ١٥ : ١١

١١٧ ٧ الرب عونى ، فلا أخشى ما ذا يصنع بى الإنسان .

عبرانيين ١٣ :٦

من سفر اشعياء

٦ ٣ قدّوس، قدّوس، قدّوس، الرب الإله القدير - رؤيا ٤: ٨

٦٤ ٤ ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ، ولا خطر على قلب بشر

ما أعده الله للذين يحبونه(١) - ١ كورنثس ٢ : ٩

من موعظة السيد المسيح التى القاها على الجبل

لما رأى السيد المسيح الجموع صعد إلى الجبل وقال :

---

(١) جاء هذا الكلام بنصه فى حديث لمحمد صلى الله عليه وسلم .

طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض ، طوبى للحزان(١) فإنهم يعزون ، طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للأتقياء القلوب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون ، طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات .

أنتم ملح الأرض ، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشيء ، إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس ، انتم نور العالم ، لا يمكن أن تخفى مدينة مبنية على جبل ، ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ، لكن على المنارة لينير على كل من فى البيت . فيضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الصالحة . لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لانقض ، بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم . إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، ويعلم الناس هكذا فإنه يدعى صغيراً فى ملكوت السموات ، وأما الذى يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات .

قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون

(١) فى رواية الحزانى .

مستوجب الحكم . . . وسمعتم أنه قيل للأولين : لا تزن ، أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنى بها قلبه ، فإن شكتك عينك اليمنى فاقلعها(١) ، وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وقيل إن من يطلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى ؛ ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .

قد سمعتم أنه قيل للأولين . لا تحنث بل أوف للرب بأقسامك وأما أنا فأقول لكم :لا تحلفوا البتة ، لا بالسماء ، فإنها عرش الله ،ولا بالأرض ، لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم .

سمعتم أنه قيل : عين ، بعين ، وسن ، بسن . أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً .

ومن سخرك ميلا واحداً ، فاذهب معه اثنين ، من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

أقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات.

---

(١) فى رواية : فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وإلقها .

فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين، لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ . . فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

أحترزوا من أن تصنعوا أصدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات.. ومتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو الذى يجازيك علانية .

متى صليت فلا تكن كالمرائين ؛ فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع . . لكى يظهروا للناس ، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم ، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك ، وأغلق بابك، وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى فى الخفاء يجزيك علانية ، لا تكرروا الكلام باطلا ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوا ، فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك فى الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة إلى الأبد آمين . (١)

---

(١) هذه الصلاة عند المسيحيين تقابل سورة الفاتحة عند المسلمين .

فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، لكى تظهروا للناس صائمين ، الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجرهم .

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء .

سراج الجسد العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله مظلما ، لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لا تقدروا أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوى يقوتها ، الستم أنتم بالحرى أفضل منها ... اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم ، فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه ... يكفى اليوم شره .

لاتدينوا لكى لا تدانوا ... وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم — ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى فى عينك فلا تفطن لها ! لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم .

اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم ...

كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء .

احترزوا من الأنبياء الكذبة . من ثمارهم تعرفونهم ، هل تجتنون من الشوك عنبا ، أو من الحسك تينا ، هكذا كل شجرة جيدة ، تصنع جيدة ، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارا رديئة . .

كل شجرة لا تصنع ثمرة جيدة تقطع ، وتلقى فى النار ، فإذن من ثمارهم تعرفونهم . إلى هنا ينتهى ما نقلناه من موعظة الجبل ،وهى طويلة تجدها فى الفصل الخامس من إنجيل متى ، ثم نأخذ فيما نقلناه من آيات القرآن الكريم .

آيات من القرآن الكريم

دعوة الرسل :

ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . النحل : ٣٦

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . الانبياء : ٢٥

لكل امة رسول :

ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ، وهم لا يظلمون . يونس : ٤٧

لا حساب الا بعد البلاغ :

من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . الإسراء : ١٥

رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . النساء : ١٦٥

رسل الله لا يعلمهم احد :

وكم أرسلنا من نبي فى الأولين . الزخرف : ٦

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . غافر : ٧٨

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، لا يعلمهم إلا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات . إبراهيم : ٩

إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا . وإن من امة إلا خلا فيها نذير : فاطر : ٢٤

الميثاق الذى اخذه الله على بنى اسرائيل :

وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم ، وأنتم معرضون . البقرة : ٨٣

محمد صلى الله عليه وسلم
ليس بدعاً من الرسل

قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، أن أتبع إلا ما يوحى إلى ، وما أنا إلا نذير مبين . الأحقاف : ٩

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . النساء : ١٦٣

ما عليه إلا البلاغ ، وما هو على الناس بوكيل ولا حفيظ .

ما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون :
المائدة : ٩٩

وكذب به قومك ، وهو الحق ، قل لست عليك بوكيل الأنعام : ٦٦

فإن أعرضوا ، فما أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ .
الشورى ٤٨

ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظاً ، وما أنت عليهم بوكيل : الأنعام : ١٠٧

فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر . الغاشية : ٢١ ، ٢٢

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى احسن :

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . النحل ١٢٥

لا اكراه فى الدين :

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى . . البقرة : ٢٥٦

ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء ، البقره: ٢٧٢

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل يونس ١٠٨

وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .
الكهف : ٢٩

ليس للنبى من الامر شىء :

« ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم .
آل عمران : ١٢٨

القرآن فى الكتب السابقة :

« إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى :
الأعلى : ١٨ ، ١٩

« أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وابراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس الإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . النجم ٣٦ : ٤١

من آداب ووصايا القرآن :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون .

النحل : ٩٠

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ؛ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ؛ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . البقرة : ١٧٧

يا بنى آدم : إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ؛ فمن اتقى وأصلح ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الأعراف : ٣٥

خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

الأعراف : ١٩٩

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (أى دولتكم) .

الأنفال : ٤٦

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم الرعد : ١١

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض . الأنفال : ٧٥

فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم (١) . التوبة : ٧

---

(١) أى أهل الأديان الأخرى وغيرهم .

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله الأنفال : ٦١

إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى ، إن ربى غفور رحيم يوسف : ٥٣

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الإرض . الرعد : ١٧

يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً . البقرة : ١٦٨

قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . الاعراف : ٣٢

وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولاتنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لايحب المفسدين . القصص : ٧٧

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل. البقرة : ١٨٨

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله » . البقرة : ١٩٧

فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى ، النجم : ٣٢

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . آل عمران ١٠٤

ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله . النساء : ١٣١

وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله . المائدة : ٢

واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . البقرة : ٢٨١

فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الأعراف : ٣٥

واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون . البقرة : ١٢٣

قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون . المائدة : ١٠٠

ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (١) . الأنبياء : ١٠٥

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها . الإسراء : ٧

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . الرعد : ١٧

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . الحجرات : ١٣

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره . الحج : ٤٠

---

(١) أى الصالحون لعمارتها كما فسرها الإمام محمد عبده وهو التفسير الحق .

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولـكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تختلفون »

المائدة : ٤٨

* * *

ونختم هذه الآداب والوصايا الإلهية بهذه الآيات الـكريمة ونـكتفى بذلك لأن المقام لا يتسع لأكثر منه.

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الـكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ، ربـكم أعلم بما فى نفوسـكم ، إن تـكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقـــه والمسكين ، وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن

حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا .

الإسراء : ٢٣ — ٣٩

دين المستقبل

وفى تمام رسالتنا يطيب لنا أن نأتى برأى حكيم ،لفيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغانى ، أوحت به إليه بصيرة نافذة تستشف ما خفى وراء الأستار ، وتنظر إلى بواطن الأمور فتكتنه ما فيها من الأسرار .

وهذا الرأى قد أجاب به عن سؤال من المرحوم السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية . (كان) قال رحمه الله

قلت مرة للسيد جمال الدين الأفغانى : ما هو دين المستقبل ؟

قال : (١)

هذه الآية من كتاب الله :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .

وقال السيد رشيد رضا رحمه الله (٢)

سمعنا هذه المسألة من البكرى ، وقال أمامنا ، إن السيد قال له : انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة إلى أن يجىء المستقبل يفسرها .

---

(١) ص ٦١٠ ج ٥ المنار .

(٢) ص ٩٣ ج ١٢ المنار .

هذا هو رأى السيد جمال الدين فى دين المستقبل ، وكأن فيلسوفنا العظيم قد رأى بعين بصيرته : أن الناس سيصلون إن شاء الله بعلومهم وعقولهم إلى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية ، وتختفى العصبيات المذهبية ، ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعاً ، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد :

(١) إيمان بالله (٢) عمل صالح فى الحياة (٣) إيمان باليوم الآخر . . . أما ماوراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم ، وبذلك يعيشون الحياة تحت ظل السعادة ظليل ، متحابين ، متعاونين ، على عمل ما فيه الخير لكل قبيل .

وما يوجد بينهم من خلاف وعدوان ، وبغضاء وشنآن ، يطرحونه وراء ظهورهم ، لأنه لا يعود إلا بالضرر الكبير عليهم .

وهنا نأتى بأبيات رائعة من شعر شوقى — قالها فى الاتحاد بين الأديان :

ما كان مختلف الأديان داعية إلى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب والرسل والأديان قاطبة خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله أصل فى مراشدها وخشية الله أس فى مبانيها
وكل خير يُلقى فى أوامرها وكل شر يُوقى فى نواهيها
تسامح النفس يرجى من مروءتها بل المروءة فى أسمى معانيها

أحمد شوقى

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع المرسلين .

خاتمة

هذه هى الطبعة الثانية من كتابنا الذى كسرناه على أمر جليل يهم الناس جميعاً، ذلك هو إثبات أن دين الله الذى اوحاه إلى عباده على ألسنة جميع رسله (واحد فى جوهره واصله وغايته) وما وراء ذلك من الأحكام التى تتغير بتغير الأزمان ،فهى من شأن أولى الأمر فى كل أمة بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة للعمران،وقد عززنا هذه الطبعة ودعمناها بأسانيد متينة وبراهين وثيقة، تأييداً للغاية التى تصدى لها هذا الكتاب حتى أوفى على الغاية من الكمال. وبذلك يزداد الناس وثوقاً به، واقبالا عليه.

أما الذين قابلوا الطبعة الأولى من هذا الكتاب بمثل ما يقابلون به كل ما يصدر من كتبنا بالهجاء الشديد ، فقد زاد ضغنهم علينا ، وسبهم لنا ، وطعنهم فينا ، حتى بلغ من امعانهم فى هذا الطعن أن رمونا بالزندقة وغيرها(1) بل أخرجونا من ديننا ! وقد كانت جريمتنا عندهم أن الكتاب يحمل دعوة فاسقة لا يصح أن تصدر من مسلم صحيح الإيمان! إذ كيف يتحد المسلم مع غيره من أهل الأديان الأخرى؟وكيف يكون لغير المسلم كفل من رحمة الله ورضوانه ! بله أن يكون له نصيب فى جناته ! وقد اختص الله كل ذلك بالمسلمين، فهم وحدهم الذين يرثون

---

(1) يراجع وصف جمال الدين الأفغانى لما يلاقيه كل من يتصدى لهذه الدعوة من الطعن الشديد فى دينه ص ١٤٧ من هذا الكتاب .

فى الآخرة جنات النعيم ؟ أما سائر أهل الأديان الأخرى فقد جعل النار مثوى لهم خالدين فيها ، لأنهم كفار أو مشركون (١) !!

وهؤلاء ومن على شاكلتهم قد مضت سنتنا معهم منذ سنين طويلة أن لا نحفل بهم ، ولا نقيم وزنا لهم ، لأنهم ليسوا بعلماء حتى يجوز لنا أن ننازلهم فى ميدان ، بل يجب أن نسكت عنهم كما قال الغزالى فى قوم مثلهم ، وأن ندعهم فى طغيانهم يعمهون ، وسيعلم الذين جهلوا أى منقلب ينقلبون .

ولو أنهم كانوا علماء حقا لرددنا عليهم ولناقشناهم مناقشة النظراء ولكن بدا جهلهم وعوارهم فيما كتبوه ضدنا ، فكان كطنين الذباب فى آذان الفيلة ، لا يزعج سمعاً ، ولا يؤلم نفساً !

* * *

وإذا كان كتابنا قد وضع بالعربية ولا يصل إلا إلى الذين يقرأونها ، فقد استخرنا الله فى أن نترجمه بالانجليزية التى هى أوسع اللغات انتشاراً ، ونرجو أن يوفقنا الله لأن نترجمه بغيرها من اللغات الحية أنه سميع مجيب .

---

(١) راجع ص ٢٧ من كتابنا هذا لترى ما ورد بيننا وبين علماء المنصورة فى أمر أهل الكتاب ونبذهم ايانا بالكفر والشرك ، والذى من أجله ألفنا هذا الكتاب .

فهرس

صفحة

الإهداء ٣

أحاديث نبوية ٥

تنبيه واجب ٦

مقدمة الطبعة الثانية ٧

هو الله للفيلسوف صلاح الدين السلجوقي . . . ١٣

كلمة الدين — الدين بمفهومه الكلي — المبادىء العليا خالدة . الله روح ونور — تعدد الأنبياء لا يغير المبادىء — الزمن يحتم تطوير القوانين — المبادىء الأولية للاسلام أزلية

مقدمة الطبعة الأولى ١٩

دين الله واحد — إن هذه أمتكم أمة واحدة — أصول الدين على السنة رسل الله أجمعين ٣٥

المقصد الأول من مقاصد القرآن في بيان حقيقته أركان الدين الثلاثة — الإيمان بالله — واليوم الآخر — والعمل الصالح ٤٦

وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله على جميع رسله . . ٥٤

إن الدين عند الله الإسلام — الأخطل النصراني مسلم — اسلام من في السموات والأرض — التعرف في الدين جاء من الجهل

صفحة

والتعصب — الإسلام فى كلام ابراهيم وبنيه — الإسلام فى عرفنا اليوم — تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . ٦٠

دين الله فى الكتب التى سبقت القرآن — ما فى العهد القديم — ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ٦٧

الوصايا العشر لموسى عليه السلام — من سفر التثنية — من سفر أشعياء — الديانة الحقيقية — فى ترنيمة لداود — من سفر ارميا — رسالة عيسى عليه السلام — الناموس الذى جاء عيسى عليه السلام ليكمله — الناموس كما جاء فى انجيل مرقص — وصايا وكلام لعيسى عليه السلام الخ ٦٩

اقتداء النبي محمد بمن قبله — أولئك الذين هدى الله الآية كتب الرسل التوراة والإنجيل فيها هدى ونور — جاء عيسى عليه السلام بالبينات والحكمة — القرآن مصدق بالتوراة والإنجيل — فى كل دين أمة يهدون بالحق ٧٩

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب وما أرسل من رسل — دعوة محمد (ص) لأهل الكتاب آية قل يا أهل الكتاب أساس الدين المتين — الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم — وأمرت لاعدل بينكم الله هو الذى يحكم بين الناس جميعاً — مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ٨٥

صفحة

مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن — بر أهل الكتاب
والأقساط إليهم — السلام على غير المسلم ٩٦
دعوته العامة ١٠١
أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين ـ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
مادون ذلك ـ الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن ١٠٣
الحرية التامة فى دعوته ١٠٥
اليهود والنصارى أهل كتاب وليسوا بمشركين ولا كافرين . ١٠٧
تحقيق لابن تيمية فى معاملة أهل الكتاب ـ أصل الدين الذى
أنزل الله به الكتب ليس فيه شرك ـ آية المائدة خاصة . ١١٢
الله رب العالمين ـ ومن هم الذين أنعم الله عليهم ـ صراط الذين
أنعمت عليهم ١١٥
دين الله فى جميع الأمم واحد ـ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ـ
ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ١١٨
اتحاد أهل الأديان الثلاثة ـ الحرية تؤدى إلى الأخاء والمساواة ١٢٥
ما قاله القس اسحاق طيلر فى الإسلام والمسلمين . . ١٢٨
القرآن والكتب المنزلة ١٣٢
تعليق على ما كتب هذا القس الفاضل ١٣٧

صفحة

الأديان الثلاثة متفقة فى المبدأ والغايه ١٤٠
محمد بعد موسى وعيسى ١٤٤
غرض جمال الدين فى الحياة ـ أن يتحد أهل الأديان ـ مغزى أقوال
السيد المسيح ـ خير مثال ١٤٦
آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله فى العهد الجديد ١٥١
من موعظة السيد المسيح التى ألقاها على الجبل ١٥٢
آيات من القرآن الكريم ١٥٨
دين المستقبل ١٦٧
خاتمة الكتاب ١٦٩

تصويب

رقم الصفحة	رقم السطر	التصويب
٧	١ من الهامش	ايضاحه بصفحة ٢٧
١٧	٥	من تلك الكتب
٢٣	٨	يرى
»	١٠	من أصول شرعه
٥٥	١٦	يقين
٩٧	١٤	رشيد رضا
١٤٩	١١	تتلطف

مطبعة احمد علي مخيمر
ت ٩٠١١٩٣

ايداع رقم ٣٠٧٨/ ١٩٧٠

هـذا الكتاب

هذا أول كتاب يخرج إلى الناس جميعاً — ليبين لهم بأقوى الأدلة المقتبسة من الكتب السماوية وغيرها إن دين الله الذى أوحاه إلى عباده فى كتبه على ألسنة جميع رسله (واحد) فى جوهره وأصوله .

— وليحقق معنى الإسلام ، الذى هو الدين عند الله ، وكان كل الرسل له متبعين .

— وليحمل دعوة السيد جمال الدين الأفغانى إلى رجال الأديان لكى يتحدوا ، كما اتحدت اصول الأديان ، بعد أن بين هذه الأصول بياناً علمياً منطقياً — واثبت أنها متحدة فى الجوهر والأصل ، ومتفقة فى المقصد والغاية ، وقال : إنهم إذا اتحدوا يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة فى هذه الحياة القصيرة .

— ثم حمل هذه الدعوة من بعده الاستاذ الإمام محمد عبده والقس اسحاق طيلر الانجلبزى .

— وفى الكتاب غير ذلك أمور مهمة ليست فى كتاب آخر ، منها تفسير طريف من السيد جمال الدين لبعـ[illegible]يل على لسان السيد المسيح من متشابه الأقوال [illegible]اها الخفى ، مما لم يهتد إليه إنسان من قبل .

